هذا هو الإنسان

فريدريك نيتشه



ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد



آفاق الترجمة



الهيئة العامة لقصور الثقافة

آفاق الترجمة
سبتمبر ١٩٩٧
٣٣



الهيئة العامة
لقصور الثقافة

هذا هو الإنسان

تأليف: فريدريك نيتشه
ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد

لوحة الغلاف
للفنان فتحى عفيفى

التصميم الأساسى للغلاف
عمر جهان

رئيس مجلس الإدارة

د. مصطفى الرزاز

المشرف العام

على أبو شادى

رئيس التحرير

د. منى أبو سنة

مدير التحرير

محمد عيد ابراهيم

استشاريو التحرير

د. مراد وهبة

د. إبراهيم البحراوى

د. أحمد مستجير

المراسلات باسم مدير التحرير على العنوان التالى : ١٦ ش أمين سامى - القصر العينى - القاهرة - رقم بريدى ١١٥٦١

هذه هى الترجمة العربية الكاملة لكتاب

Ecce Homo

By

Friedrik Nietzsche

والمنشور ضمن كتاب

Philosophy Of Nietzsche

وهو يضم خمسة نصوص لنيتشه

وقد طبع فى نيويورك عام ١٩٥٥

والكتاب أصلا صدر عام ١٩٠٨ بعد وفاة نيتشه عام ١٩٠٠

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة

هذا هو الإنسان

حدد نيتشه بنفسه مهمة حياته عندما أوضحها فى هذا الكتاب بقوله: «إن مهمة حياتى هى أن أُعِدَّ للإنسانية لحظة للوعى الذاتى الرائع، أُعِدَّ أَوْجَ ظهيرة عظيمة تحدق للوراء وللأمام معا، عندما تبزغ من هوْل ماهو عَرضىّ ومن الكهانة، ولأول مرة تطرح السبب والمكانة فيما يتعلق بالإنسانية ككل». من خلال هذه الرسالة يعيد نيتشه إلقاء الضوء على رحلة حياته وكتبه بل وحتى أسلوبه فى الكتابة وذلك كى لا يُساء فهمه على نحو ما تنبأ وما حدث له بالفعل. وهذا الكتاب لم يُكْتب بإعداد بل أراد لكلماته كما أراد لكل كلماته فى كل كتبه أن تكون كلمات جرانيتية تستهدف إحداث انقلاب فى نفسيةالقارئ، بل وتأخذه من خناقه حتى يساهم فى الانقلاب نفسه.

ولقد أوضح نيتشه أهمية التساؤلات الخلقية لأن هذه التساؤلات ـ على حد قوله ـ تحدد مستقبل البشرية. لكنه لا يتوقف عند الأخلاقيات، بل يريد أن يتجاوزها ليبحث فى الوجود نفسه، الوجود الْعَيْنى المشخص لا الوجود التجريدى المطلق حتى يتغير الوجود الإنسانى نحو الأفضل ويخرج الإنسان من مرحلة الديدان إلى مرحلة الإنسان الأعلى المبشر بالبرق والذى يحمل القيم الجديدة، قيم الأخلاق النبيلة، قيم تغيير الإنسان بالقضاء على اغتراب الإنسان وانفصاله، وتقويض قيم العبيد المنبثة فى حياته. وساعتها يولد الإنسان من جديد. وبهذا يتأكد انتماء نيتشه إلى الفلسفة الوجودية التى تستهدف أن يمارس الإنسان حريته ويرسم من جديد صورته فوق لوحة الزمان.

إن فريدريك نيتشه (١٨٤٤ـ ١٩٠٠) الفيلسوف الألمانى الذى ولد

وسط ألمان، يرى أنَّهم قد غرقوا فى المثالية فابتعدوا عن الحياة. كما يرى أنه والناس الحقيقيين محكوم عليه وعليهم من جانب الإمّعات والحمقى والمخادعين والمنتقمين الذين يشوهون العالم والذين يطعنون الإنسانية. ومن هنا فإنه مقاتل يحارب القيم البالية مبشرا بالجديد والذى هو فَرَح. من أجل أن يجعل كل لحظة فى الحياة عيدا يحتفل به الناس، عيدا للفرح. إنه يدعو إلى فردوس جديد، لكنه يلاحظ هو نفسه «إن فردوسى قائم (فى ظل سيفى) ...» وهو نفسه يقول عن نفسه «إننى لست صاحب أحلام يقظة وإننى أستطيع أن أجد فرحا فى سحب السيف كما أن لى أيضا قبضة قوية». إن نيتشه محارب ولهذا فإنه عندما يتفلسف فإنما يحمل مطرقة لهدم القديم وتشييد الجديد داعيا إلى زرادشت جديد. فزرادشت هو المفكر الفارسى القديم الذى من الظلام ينبثق النور على يديه. كما أنه يدعو إلى ديونيزوس جديد. ديوينزوس هو ذلك الإله اليونانى القديم الذى هو إله الظلام ولهذا فهو أقدر الجميع على الغوص فى الأعماق بحثا عن نور جديد. ولقد أدرك نيتشه - ببصيرة شديدة - أن الثقافة والعلم الحديثين قد فقدا البصر والبصيرة. إنهما يكتفيان بإنتاج الهمجية. وبهذا كان نيتشه نذيراً لنزعة العدمية والتهديم التى سيشهدها من بعده القرن العشرون.

وهذا الكتاب الحالى (هذا هو الإنسان) قد كتبه نيتشه عام ١٨٨٨ عندما أخذ يضطرب عقليا. لكنه لم ينشر إلاّ بعد وفاته، فقد نُشر عام ١٩٠٨. وكما يقول أحد الباحثين إن الكتاب لن يُفهم تماما إلا إذا أدركنا روح التهكم والسخرية منه، إنه ينقد عصره ويهاجم الألمان أبناء جنسه لأنهم أصحاب نزعة تجزيئية وهم الذين جعلوه مغتربا

بسبب نزعتهم التى تدعى المثالية. والكتاب مفكك. ولا يرجع الأمر فقط إلى ما كان ينتاب نيتشه من لحظات جنون ولكنه كان يتعمد أسلوبا خاصا فهو يكتب وهو أشبه بنسر محلق يلمح فى الأفق ومضات ويعبر عن هذه الومضات بومضات. إنه أسلوب أشبه بصاعقة العاصفة الرعدية. لكن أسلوب نيتشه لم يكن أسلوبا أجوف ومجرد زخرفة خارجية فقد أراد أن يعبر عن اغتراب الإنسان ومحاولة قهر اغترابه. يقول: «إننى أصبح واعيا بدنوّ قطيع من البقر قبل أن أتمكن من رؤية القطيع بعينى». لقد شعر مسبقا باختناق الفرد وفقدانه لحريته. ومن أجل هذا قرر نيتشه على حد تعبيره: «أن أبنى لى سلسلة جبلية من الجبال الأكثر قداسة». وبهذا الإحساس يروى نيتشه فى هذا الكتاب تاريخه وتاريخ تكوينه وتاريخ مؤلفاته وعلاقاته بالمثقفين. وعبر عن كل هذا بروح شفافة حيث تستحيل الفصاحة - حسب تعبيره - إلى موسيقى، فالعبارة تهتز انفعالا ومن ثم فإن ومضات البرق تسطع فوق مستقبل لم يحلم به إنسان على نحو ما كان يحلم به نيتشه: الفيلسوف والصاعقة معا.

مجاهد عبد المنعم مجاهد

١٩٩٥/١٠/١٨

تنويه

حاولنا بقدر الإمكان المحافظة على طريقة نيتشه فى الأسلوب الخاص القائم على انفجارات العبارات التى لا يكتمل بعضها ويعلق أنفاس القراء بعضها الآخر والحافل بعضها الثالث بومضات متأرجحة بين الإبداع والجنون.

تصدير

(١)

في ضوء الحقيقة التي تذهب إلى أنه قبل أن أواجه رفاقي بفترة طويلة بأعظم مطلب يُلْقى على عاتقهم، يلوح لي أنه لا مفر من أن أعلن هنا مَنْ أنا وما هي هويّتي. وكأمر واقع يجب أن يكون هذا معروفا تماما لأنني لم أسمح لنفسي ألا أكون (بلا شاهد). غير أن التباين بين عظمة مهمتي وضآلة معاصريَّ يتضح من أن الناس لم يسمعوا بي أو يروني. إنني أحيا وفق مصداقيتي - و ربما من التحامل القول إنني أحيا أصلا. وكل ما عليَّ هو أن أتحدث إلى أي من الباحثين الذين يزورون أوبر - انجادين (*) في الصيف لكي يقنعُوني بأني (لست) حيا. وفي ظل هذه الظروف فإنَّ من الواجب - وهو واجب تتحفظ إزاءه عاداتي بل والذي تثور ضده كبريائي أن أقول:«انصتوا ! فإنني على هذا النحو أو ذاك. فبحق الله لا تخلطوا بيني وبين أي شخص آخر!»

(٢)

على سبيل المثال، إنني لست بأي حال من الأحوال حشرة، وحشا أخلاقيا. من الحق أن طبيعتي على عكس هذا تماما، وعلى عكس مَنْ يجري تكريمه على أنه شخص فاضل. ولكن - فيما بيننا - يلوح لي أنَّ هذا بالضبط هو مدعاة لزهوي. إنني تلميذ للفيلسوف ديونيزوس اليوناني وسوف أكون في التو(ساطيرا)(**) أو إلها للغابات، وإنني

(*) وادي نهر إن في شرقي سويسرا. (م)

(**) مخلوق خرافي نصفه حيوان ونصفه إنسان. (م)

أفضّل هذا على أن أكون قديسا. وكل ما أطلبه هو أن تقرأوا هذا الكتاب ! ربما أكون قد نجحت هنا فى التعبير عن هذا التقابل بطريقة حفيّة كلها تعاطف. ربما لا يكون للكتاب أى غرض آخر سوى هذا.

وآخر ما يمكن أن أعدَ به لإنجازه هو أن أحَسِّنَ البشرية. إنى لا أقيم أوثانا جديدة، إننى لا أريد سوى أن تتعلم الأوثان القديمة ماذا يعنى أن تكون أقدامها من صلصال. آن أطيح بالأوثان (وهو اسم أطلقه على المُثُل) هو عين مهمتى. وبقدر ما اخترعنا عالماً مثاليا بقدر ماجردنا الواقع من قيمته ومعناه وحقيقته. (العالم الحقيقى)و(العالم الظاهرى) ـ بالعربى: العالم الخيالى والواقع. ومن ثم فإن(أكذوبة) المثالى هى لعنة الواقع، وبها فإن أشد الغرائز الإنسانية تأسيسا فيه قد أصبحت كاذبة ومزيفة؛ ومن ثم أصبحت القيم التى تُعْبد هى بالضبط القيم التى تتطاحن فى عداوة مع القيم التى تضمن ازدهار الإنسان ومستقبله وحقه فى ذلك المستقبل.

(٣)

إنَّ مَنْ يستطيع أن يتنفس الهواء المُنبث فى كتاباتى يستطيع أن يعرف أن هواء القمم العاليات هو الهواء المنعش المنشط. إن الجليد قريب والوحدة مرعبة ـ ولكن كم هو هادىء كل شىء فى إشراقة الشمس ! والفلسفة كما فهمتها وعايشتها هى التقاعد الإرادى فى منطقة الجليد والقمم الجبلية والبحث عن كل ما هو غريب ومطروح موضع التساؤل في الوجود وعليه تقيم الأخلاق دعواها. ومن خلال التجربة الطويلة المستمرة من مثل هذه التجوالات فى الأرض المحرقة

تعلمت أن أنظر إلى أساس الاصطباغ الخلقى والمثالى لدى البشر بطريقة مختلفة عما قد يبدو مرغوبا وأليفا. إن التاريخ السرى للفلاسفة وسيكولوجية أسمائهم العظيمة قد انكشفا لى. إلى أى حد يستطيع العقل أن يتحمّل الحقيقة؟ إلى أى حد يجرؤ العقل إزاء الحقيقة، مثل هذه الأسئلة أصبحت بالنسبة لى المعيار الجوهرى، وتزايد هذا المدى. إن الخطأ (أى الاعتقاد فى المثال) ليس العماء، الخطأ هو جُبْن... إن كلّ غزو وكل تقدم فى المعرفة هو نتيجة الشجاعة والتصلب إزاء النفس والنظافة إزاء النفس، إننى لا أفنّد وأجعلها متهافتة، كل ما هنالك أننى أخلع قفازى فى حضرتها... وبالمحظور سوف أغزو، فإنّ ما هو محرم تحريما شديدا هو دائما الحقيقة.

(٤)

من بين كل كتاباتى يحتل كتابى (هكذا تكلم زرادشت) مكانة خاصة، ومنه أعطى رفاقى أعظم هدية جرى منحها لهم. وهذا الكتاب الذى يتردد صوته عبر العصور ليس هو ألطف كتاب فى العالم فحسب، بل هو أيضا الكتاب الحقيقى، كتاب الهواء الجبلى - فالظواهر الكلية بل البشرية جمعاء تكمن فى موضع لا يمكن إحصاؤه وراءه - لكنه أعمق كتاب وقد ولد من الامتلاء الكامل من الحقيقة؛ إنه بئر لا ينضب ولا يهبط فيه غواص إلا ويعود وهو محمل بالذهب والخيرات. إنّ مَنْ يتحدث إليكم هنا لا يدعى أنه(نبى). وإذا لم يخطىء أحد خطأ شنيعا فى إصدار حكم على هذا الكتاب فإنه يجب عليه فوق كل شئ أن يعبأ بالنغمات - النغمات المهدئة - هذا هو

الذى يصدر من كتاب (هكذا تكلم زرادشت):

«إن أعظم الكلمات صمتا هى المبشرة بالعاصفة؛ والأفكار التى تأتى على جناحى حمامة هىَ التى تقود العالم.

«إن التينات تتساقط من الأشجار؛ وهى طيبة وحلوة؛ وعندما تسقط تنفتح قشرتها الحمراء. إننى ريح شمالية بالنسبة للتينات الناضجة.

«وهكذا مثل هذه التينات تتساقط العقائد لكم يا أصدقائى: فلْتمتصوا عصيرها ومادتها الحلوة الآن! إن الخريف من حولنا والسماء صافية وكذلكُ أوقات عصارى الأيام»

مامن متعصب يتحدث إليكم هنا؛ ليست هذه(موعظة)؛ وليس مطلوبا منكم أى إيمان. فمن الامتلاء اللامتناهى لنور الفرح وعمقه تصدر كلماتى قطرة قطرة ـ إن إيقاع هذه الأحاديث بطئ ومحدد. ومثل هذه الأشياء قاصرة على الصفوة الخالصة، ومن الامتياز الرائع أن تكونوا المنصتين هنا: وليس كل من يحبّ له آذان يسمع بها (زرادشت). إذن ألا يمكن أن نقول عن(زرادشت) إنه (المُغوى) والذى يقوم بالإغراء؟... ولكن فى الحقيقة ماذا يقول هو نفسه عندما يعود لأول مرة إلى عزلته؟ على العكس تماما مما يقوله(الحكيم) أو(القديس) أو(المخلّص) أو أية صفة متهرئة يمكن أن تذكروها... وليست كلماته وحدها المختلفة؛ بل هو نفسه مختلف عنهم.

«إننى يامريدىَّ أمضى وحيدا! وأنتم أيضا الآن انطلقوا وحيدين! وهكذا أفهم الأمر.

«ودون ريب إننى أنصحكم: انفصلوا عنى واحرسوا أنفسكم ضد زرادشت! بل اخجلوا منه! فربما يكون قد خدعكم.

«إن رجل المعرفة لا يجب أن يقتصر على محبة أعدائه، بل يجب أيضا أن يكره أصدقاءه.

«إن الإنسان ـ بطريقة سيئة ـ يحتاج إلى مدرس إذا ظل مجرد دارس. ولماذا لا تخلعون من على رأسى الإكليل؟

«إنكم تبجلوننى؛ ولكن ماذا لو انهار ذات يوم تبجيلكم؟ انتبهوا حتى لا يسحقكم تمثال من التماثيل!

«ألستَ أنت الذى تقول: آمنوا بزرادشت؟ ولكن عن أى شئ يتحدث زرادشت؟ أنتم المؤمنون بى ولكن بأى شىء يؤمن المؤمنون؟

«أنتم لم تبحثوا بعد فى أنفسكم: ومن ثم فإنّ كل العقائد ليس لها سوى قيمة واهية.

«والان إننى أهيب بكم أن تفقدونى حتى تجدوا أنفسكم؛ وعندما تنكروننى جميعا أعود إليكم»

فريدريك نيتشه

فى ذلك اليوم الرائع عندما كان كل شئ ينضج ولم يكن الأمر قاصرا على العنب وهو يميل إلى لونه البنّى سقط شعاع من الشمس عبر حياتى: لقد نظرت ورائى وتطلّعت أمامى ولم أر على الإطلاق مثل هذه الأشياء العديدة الرائعة فى التو. وليس عبثا أننى قد دفنتُ سنينى الأربعة والأربعين اليوم؛ إنّ لى(الحق) أن أدفنها ـ فما هو حيوى فيها جرى إنقاذه وهو شئ خالد. إن الكتاب الأول من(تجاوز تقييم كل القيم) و(أغنيات زرادشت) و(أفول الأوثان) ومحاولتى أن أتفلسف بمطرقة ـ كلّها هى هبات هذه السنة، بل هى هبات ربعها الأخير ـ (كيف يمكننى أن أكون شاكرا بكل حياتى؟)

وهكذا أنا شارع فى أن أحكى لنفسى قصة تلك الحياة.

لماذا أنا حكيم جدا

(١)

إن سعادة وجودى، وربما الطابع الفريد لهذا الوجود، تكمن فى طابعها المصيرى: إننى أعبّر عنها على شكل لغز. بالنسبة لأبى فإننى قد متّ من قبل، وبالنسبة لأمى مازلْتُ حيا وأَكْبُرُ فى العمر. هذا الأصل المزدوج - وقد استمددته من أعلى ومن أسفل درجات سلم الحياة. هو فى الوقت نفسه انهيار وابتداء، وهذا يفسر ذلك الحياد، تلك الحرية من المشايعة بالنسبة للمشكلة العامة للحياة وذلك ما يميّزنى. إننى حسّاس بالنسبة للمكونات الأولى صعودا وهبوطا أكثر من أى إنسان آخر قد وجد حتى الآن. وفى هذا المجال إننى أستاذ بارع(ممتاز) - إننى أعرف كلا الجانبين لأننى كلا الجانبين. لقد مات أبى وهو فى السادسة والثلاثين. لقد كان مريضا ومحبوبا ورقيقا أشبه بمن كُتب عليه المصير أن يعيش عمرا قصيرا - إنه إنسانٌ يذكّرنا بالحياة أكثر منه الحياة نفسها. وفى نفس العمر الذى انهارت فيه حياته انهرْت أنا أيضا؛ ففى سن السادسة والثلاثين تدنّت حيويتى إلى أدنى نقطة لها - إننى لازلت حيًّا، لكننى لا أستطيع أن أرى إلى أبعد من ثلاث خطواتى أمامى. فى ذلك الوقت - وكان هذا عام ١٨٧٩ - استقلت من عملى كأستاذ بجامعة بازل وعشت خلال الصيف أشبه بظل فى سنت موريتز، وهى مدينة فى جنوب غربى سويسرا - وأمضيت الصيف التالى - وهى أطول فترة فى حياتى - بلا شمس وكُنْت فى أدنى حالات انحطاطى. وكان كتاب (الهائم وظله) نتاج تلك الفترة. وليس هناك شك أننى كنت أليفا مع الظلال آنذاك.

وحمل لى الشتاء التالى - وهو أول شتاء لى فى جنوة بإيطاليا - تلك العذوبة والروحانية اللتين لا تنفصلان واللازمتين لفقر الدم واحتياجات العضلات، وجاء هذا على شكل كتاب (الفجر). إن الألق والتألق الكاملين والوفرة العقلية اللتين يعكسهما هذا العمل لا يتطابقان فى حالتى مع أكبر ضعف جسمانى عميق فحسب، بل يتطابقان أيضا مع إفراط فى المعاناة. ووسط الكرب الناجم من الصداع المستمر لمدة اثنتين وسبعين ساعة والنوبات العنيفة من الغثيان تولانى وضوح جدلى فريد، وفكرت بهدوء شديد فى عدة أشياء وهو أننى فى أشد لحظات الصحة اكتشفت أننى لست متسلقا جيدا وإننى لسْت بارعا بما فيه الكفاية؛ وقد يعرف قرائى إلى أى حد أعتبر الجدل علامة على التفسّخ ممثلا فى أشهر حالة على الإطلاق وهى حالة سقراط. إنّ كل أشكال الاضطراب المرضى للعقل حتى شبه الحذر الذى يعقب الحمى كلها كانت فى ذلك اليوم غريبة علىّ؛ وحتى أعرف طبيعتها وكثرتها كان علىّ أن أرجع إلى الكتب المتخصصة. إن دورة دمى بطيئة، ولم يكن أحد قادرا على الإطلاق أن يكتشف الحمّى فى داخلى. وهناك طبيب عالجنى بعض الوقت باعتبارى مريضا عصبيا أعلن أخيرا: «كلا! ليس هناك شئ بالنسبة لأعصابك (أنت)؛ أنا نفسى العصبى». إنهم لم يكونوا قادرين على اكتشاف أى تدهور فىّ أو أىّ اضطراب مَعِدى عضوى، وإن كنْتُ قد عانيت كثيرا من ضعف عميق فى الجهاز المعدى نتيجة إنهاك عام. وحتى اضطراب عينى الذى يكاد يقترب من خطر الإصابة بالعمى ليس إلا معلولا لا علة؛ فمع كل تحسّن لصحتى الجسمانية العامة يأتى تزايد مقابل فى قوة رؤيتى. وعلى طول السلسلة المتصلة الممتدة

للسنين يكون هناك شقاء لى. ولكن يؤسفنى أن أقول إنه يعنى أيضا انتكاسة، انهياراً، وفترات من الانحطاط. وبعد كل هذا هل أنا محتاج إلى أن أقول إننى أخصائى فى مسائل الانحطاط والتدهور؟ إننى أعرف هذه المسائل داخليا وخارجيا؛ وحتى ذلك الفن المزخرف للإدراك والاستيعاب بصفة عامة، ذلك الشعور بالفروق، تلك السيكولوجية الخاصة «برؤية ما وراء الزاوية» وأى شئ آخر أكون قادراً على فعله، قد عُرف لأول مرة، وهو الهِبَة الخاصة لتلك الفترة التى كان فيها كل شئ منى يرهف الذهن - الملاحظة - مع كل أجهزة الملاحظة. إنَّ رؤية المفاهيم والقيم الأكثر صحة من وجهة نظر المريض والعكس رؤية العمل السرى لغريزة الانهيار من الوفرة والثقة بالذات لحياة غنية - هذه هى تجربتى الرئيسية، هو ما تدربت عليه كثيرا. إذا كان فى أى شئ على الإطلاق فإننى فى هذا أكون أستاذاً بارعا. اليوم يدى بارعة؛ إن عندها براعة المنظورات العكسية. وربما كان هذا هو السبب الأول الذى كان من أجله كتابى (تجاوز تقييم كل القيم) ممكناً بالنسبة لى أنا وحدى.

(٢)

موافق على أننى متفسّخ، لكننى أيضا العكس من هذا على طول الخط. ومن بين كل البراهين الأخرى لدىّ هذا البرهان. إننى دائما ما أختار بحكم الغريزة العلاج الملائم مفضّلا إياه على أشكال العلاج الضارة؛ على حين أن المتفسخ كمتفسّخ يختار دون تنوع أشكال العلاج السيئة بالنسبة له. وأنا ككل أتمتع بالصحة ولكن فى تفاصيل معينة أنا متفسّخ. فهناك الطاقة التى أرغمت بها نفسى على العزلة الكاملة، وعلى اغتراب من عادات حياتى المعتادة، والنظام

الذاتى الذي منعنى من أن يتم إشبـاع رغـبـاتى وكل هذة الأمـور تفضح اليقين المطلق لغرائزى بالنسبة لما كان فى ذلك الوقت أكثر الأشياء احتياجا بالنسبة لى. لقد وضعت نفسى بين يدىً واستعدت نفسى للصحة. وحتى أفعل هذا على الإنسان أن يكون قويا أساسا، وهو الشرط الأول للنجاح كما يقرّ بكل هذا كل علماء اللغة. إن الطبيعة المرضية بشكل نمطى لا يمكن أن تصبح صحية على الإطلاق. ومقابل هذا فإنه بالنسبة للطبيعة القوية بشكل غريزى قد يصلح المرض أن يكون باعثا قويا على الحياة وعلى وحدة الحياة. وهكذا كانت نظرتى لفترة مرضى الطويلة. لقد بدا آنذاك كما لو كنت قد اكتشفت حياتى من جديد، اكتشفت ما تتضمنه ذاتى. لقد تذوقت كل الأشياء الطيبة بل حتى التافهة بشكل لا يستطيع الآخرون أن يتذوقوها بشكل طيب - فانطلاقا من إرادتى فى الصحة والحياة صغت فلسفتى... إننى أحب أن يكون هذا مفهوما؛ ففى تلك السنوات من أشد انْحطاط لحيويتى كففْت عن أن أكون متشائما: إن غريزة الشفاء الذاتى منعت قيام فلسفة للمسغبة واليأس. والآن كيف يمكن لنا أن ندوك أحسن منتَجات الطبيعة الممتازة؟

إنه يمكن معرفتها من خلال أن الإنسان الممتاز لهذا النوع يبهج حواسنا؛ إنه منحوت من كتلة واحدة، كتلة صلبة وحلوة وعطرة. إنه لا يستمتع إلاّ بما هو طيب بالنسبة له؛ إن لذته أو رغبته كامنة عندما يتم تجاوز حدود ماهو طيب بالنسبة له. إنه يقدّس العلاجات ضد الجروح؛ إنه يعرف كيف يحول الحوادث الجادة لصالحه، إنّ ما لا تقبله يجعله أقوى. إنه يجمّع بشكل غريزى مادته من كل ما يراه ويسمعه ويعايشه. إنه مبدأ اختيار؛ إنه يرفض الكثير. إنه دائما فى

رفقة نفسه سواء كانت اتصالاته مع الكتب أو الناس أو المنظر الطبيعى؛إنه يبجّل الأشياء التى يختارها والأشياء التى يعترف بها والأشياء التى يثق بها. وهو يتعرّف ببطء ـ إزاء كل أنواع البواعث ـ بكل ذلك البطء الذى ربّاه فيه الحذر الطويل والكبرياء المتعمد ـ إنه يختبر الباعث الذى يتقارب ويدنو، إنه لا يفكر فى التوجّه إليه. إنه لا يؤمن بسوء الحظ أو الإثم؛ إنه يستطيع أن يستوعب نفسه والآخرين؛ إنه يعرف كيف ينسى ـ إنه قوى بما فيه الكفاية فيجعل كل شئ يتحول لصالحه. وهكذا إننى على العكس تماما من الإنسان المنحطّ المتفسّخ؛ فإن وصفته ليس إلا نفسى.

(٣)

هذه السلسلة المزدوجة من التجارب، هذه الوسيلة من الاقتراب من عالمين يبدوان متباعدين تجد انعكاساً دقيقا فى طبيعتى ـ إنّ لى ذاتا أخرى: إنّ لدى بَصَراً(ثانيا) مماثلاً لبصرى الأول، وربما لدىّ حتى بصر ثالث. إن طبيعتى الخالصة تسمح بنظرة تتجاوز مجرد الآفاق المحلية والقومية والمحدودة، ولم يكلّفنى الأمر أىّ جهد لكى أكون(أوربيّاً ممتازا) من جهة أخرى. ربما أنا ألمانى أكثر من الألمان المحدثين ـ مجرد الألمان الامبرياليين الذين يمكن أن يوجدوا ـ إننى آخر الألمان المضادين للسياسة. ومع هذا فإنّ أسلافى كانوا نبلاء بولنديين: وبفضلهم فإنّ هناك غريزة عِرْقية كبيرة فى دمى ـ مَنْ يعرف؟ ربما مغروس فىَّ بحق الاعتراض الممنوح للنبيل البولندى فى رفض أى قانون. وعندما أفكّر فى كيف أننى كثيرا ما يخاطبنى البعض باعتبارى بولنديا إذا ما سافرت فإننى أجد أنّ البولنديين أنفسهم يفعلون هذا معى، ونادراً ما يُنْظر إلىَّ على أننى ألمانى،

ويبدو لى الأمر كما لو كنْتُ أنتمى إلى أولئك الذين ليس لديهم سوى ذرة من الألمانية. غير أن أمى فرازيكا و. هِل هى ألمانية خالصة؛ وكذلك جدتى لأبى إدموث كروس. وهذه الأخيرة أمضت شبابها فى فيمار القديمة وقد اتصلت بدائرة جوته. وأخوها كروس أستاذ اللاهوت فى كونسيرج قد عُين فى وظيفة مدير عام فى فيمار بعد وفاة المفكر والأديب هردر. وليس من المستبعد أن تكون أمها هى التى ظهرت فى مذكرات جوته الشاب تحت اسم(موتجن). وزوجها الثانى هو المدير نيتشه أوف إيلنبرج.

وفى يوم ١٠ أكتوبر ١٨١٣ أى عام الحرب العظيمة عندما دخل نابليون بقواته مدينة الْتنبرج أنجبت ولدا. ولما كانت ساكسونية فإنها أبدت إعجابا شديدا بنابليون وربما أنا أيضا أعجب به حتى الآن. إن والدى الذى ولد عام ١٨١٣ قد مات عام ١٨٤٩ وقبل أن يتولى أبرشية روكن التى لا تبعد كثيرا عن لوتزن عاش بضع سنين فى كاسل أوف الْتنبرج حيث تولى تربية أربع أميرات وتلميذاته هن: ملكة هانوفر ودوقة قنسطنطين الكبرى ودوقة أولدنبرج الكبرى والأميرة تريزا أوف ساكس الْتنبرج. وكان والدى يكن تقديرا يصل إلى حد القداسة والورع للملك البروسى فريدريك ولهلم الرابع ومنه حصل على معاشه فى روكن؛ وقد سبّبت له أحداث ١٨٤٨ أسفا شديدا. ولما كنتُ قد ولدت يوم ١٥ أكتوبر وهو عيد ميلاد الملك السابق ذكره فقد أُطْلق علىّ بشكل طبيعى اسم فريدريك ولهلم وهو من أسماء أسرة هوهنزولرن. وفى كل هذه الأحداث كانت هناك ميزة واحدة فى الاختيار، ففى ذلك اليوم ظل مولدى طوال طفولتى عيدا عاما. ولقد اعتبرت هذا ميزة كبيرة أن يكون لى مثل هذا الأب؛ بل لقد لاح لى

أن هذا يستنفد كل ما أقوله عن مسألة المزايا ـ الحياة المتوقعة. إنّ ما أدين به له فوق كل هذا هو أننى لا أحتاج إلى أى انتباه خاص بل مجرد الصبر لكى أدخل على نحو إرادى فى عالم الأشياء الأعلى والأرق: هناك أكون فى بيتى، هناك فقط يكون لانفعإلى العميق حرية اللعب. وكونى كنْتُ أدفع مقابل هذه الميزة حياتى لم يجعل هذا مقايضة سيئة. فحتى القليل من كتابى (هكذا تكلم زرادشت) ربما يجب على الإنسان أن يوجد فى موقف مثل موقفى وله قدم فيما وراء الحياة.

(٤)

أنا لم أفهم إطلاقا من إثارة التطاحن والتشاحن (ولهذا أيضا أشكر أبى الذى ليس له مثيل) حتى عندما بدا لى أن هذا جدير بأن يحدث. وعلى أية حال قد يبدو الأمر وكأنه ليس له طابع مسيحى فإننى حتى لا أطيق أى شعور مرضى تجاه نفسى. اختبروا حياتى كما تشاؤون فلن تجدوا سوى أثر نادر واحد ـ وواحد فقط ـ لمن أظهر لى سوء إرادة، ولكن ربما تكتشفون أيضا آثارا عديدة من الإرادة الطيبة... إن تجاربى حتى مع أولئك الذين كل علاقات الناس الأخرى معهم تسبب كارثة تنطق ـ دون استثناء بأنّها فى صالحهم: إننى أجعل كل دُبٍ أليفا، إننى أستطيع أن أجعل حتى المهرجين يتصرفون تصرفا حسناً وخلال السبع سنوات التى درّست فيها اللغة اليونانية للطبقة العليا بكلية بازل لم تتح لى فرصة توقيع عقوبة؛ حتى أكثر الشباب كسلا، كانوا يبدون عناية شديدة واهتماما كبيرا فى الفصل الذى أدرّس فيه. والحوادث كانت دائما تجدنى مستعدا لها؛ يجب ألا أكون مستعدا لكى أحافظ على قيادتى لذاتى. أستطيع أن أتناول

أية آلة حتى لو كانت الآلة (الإنسان) فإننى أستطيع أن ألاطفها وأستخرج منها شيئا جديرا بالسماع. وكثيراً ما كانت تحكى لى الآلات نفسها أنها لم تسمع من قبل مثل هذه الأصّوات. وربما أكبر تعبير ساحر لهذا الشعور هو أن الشاب هنريخ فون شتين السياسى الألمانى الذى مات فى هذه السن المبكرة كان قد ظهر ذات يوم فى سيلز- ماريا لإقامة استمرت ثلاثة أيام وكان يشرح لكل واحد هناك أنه(لم) يأت بسبب وادى انجادين فى سويسرا. هذا الشخص الممتاز بكل ما عند النبيل البروسى من بساطة متهورة قد غرق عميقا فى المستنقع الفاجنرى نسبة إلى الموسيقار ريتشارد فاجنر(كما غرق بجانب هذا فى مستنقع الفيلسوف والعالم إيوجين دورنج!) وقد بدا هذا خلال الثلاثة أيام، وقد كاد أن يتبدل بإعصار من الحرية أشبه بالإنسان الذى ارتفع فجأة إلى دورة الأعالى وأصبحت له أجنحة. مرة أخرى وثالثة قلت له إن هذا هو مجرد نتيجة للهواء المنعش؛ وكل إنسان شعر بالأمر نفسه - لا يستطيع الإنسان أن يقف على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم فوق مدينة بيرويت دون أن يشعر به - لكنه لم يصدقنى... وبصرف النظر ما إذا كان كل هذا راجعا إلى أننى كنت ضحية العداوة البسيطة أو حتى الكبيرة أم لا، فإن الإرادة (السيئة) على الأقل لم تكن هى التى تسببت فيه؛ بل بالأحرى كما أشرت من قبل كانت الإرادة الطيبة هى التى منحتنى سببا للشكوى، تلك الإرادة الطيبة هى المسئولة عن القدر الهائل من الضرر فى حياتى. إنّ تجربتى أعطتنى الحق فى أن أشعر بالشك فيما يتعلق بكل ما يسمى بالميول(غير الأنانية) وفيما يتعلق بالنسبة لكل(حب للجيران) الجاهز والذى ينتظر الأعمال أو النصح. لقد لاح لى أنها علامات ضعف

وأمثلة للعجز أن أقف فى وجه التحريض - وليس إلاّ بين المتفسّخين أن هذه (الشفقة) تسمى فضيلة. إنّ ما ألومه بالنسبة للشفقة هو أنهم مستعدون تماما لنسيان التواصل والتبجيل ولذاذة الشعور الذى يعرف كيف يُبْقى على المسافات؛ لقد نسوا أن هذه الشفقة الانفعالية العاطفية تُنتِن بالغوغاء وأنها ليست سوى خطوة ممحاة من العادات السيئة - فهذه الأيدى الحانية قد تكون متعطّشة للنتائج المدمرة فى مصير كبير وفى عزلة جارحة وبمزايا الخطيئة الكبرى. إننى أعتبر نهر الشفقة من بين الفضائل النبيلة. وفى(تأمل زرادشت) تخيّلت حالة يسمع فيها صيحة ألم كبرى تكتسح الشفقة وتحط عليه أشبه بخطيئة أخيرة لكى تجعله ييأس فى إيمانه بنفسه، أن تظل سيد نفسك فى مثل هذه الظروف وأن تبقى خلال رسالتك حرا من الدوافع غير النبيلة المحدودة التى تسمى الأفعال غير الأنانية مثيرة - هذا هو الاختبار - ربما آخر الاختيارات التى على زرادشت أن يخوضها، إنها البرهان الحق لقواه.

(٥)

فى مجال آخر إننى بكل بساطة مثل أبى مرة أخرى، وكأن هذا استمرار لحياة أبى بعد موته المبكر. ومثل الإنسان الذى لم يلتق إطلاقا بقرينه الذى يضاهيه، وبالنسبة لمن عنده فكرة (التأثر) هى فكرة غير مستوعبة مثل فكرة (الحقوق المتساوية) فإننى حرمت نفسى من كل مقاييس ومعايير الأمان أو الحماية - وكذلك بطبيعة الحال حرمتها من الدفاع أو (التبرير) فى كل الحالات التى واجهت فيها الغباء سواء كان تافها أو (كبيراً جداً). إن شكل انتقامى هو

على هذا النحو: بقدر الإمكان إننى أتبع مواجهتى مع الغباء بشئ من البراعة؛ بهذه الوسيلة ربما يستطيع الإنسان أن يستحوذ عليها. واسمحوا لى أن أقدم صورة لما أريد أن أقوله: إننى أبتلع علبة مربى لكى أتخلص من الطعم المر. بمجرد ما يثير المرء عداوتى فإننى(أنتقم) ويجب أن يتأكد من هذا: قبل أن أجد فرصة للتعبير عن شكرى للمعادى لى أو أن (أطلب) منه شيئا قد يكون لطيفا أكثر منه منحا. ويبدو لى أيضا أن أوقح كلمة، أوقح عرف له طبيعة أكثر روعة وأمانة من الصمت. إن مَنْ يبقون صامتين هم فى الغالب دائما تنقصهم العذوبة ورقة القلب؛ إنَّ الصمت اعتراض؛ إن ابتلاع الأسى ينتج بالضرورة مزاجا سيئا ـ بل إنه يتعب حتى المعدة. كل الناس الصامتين سيئو الهضم. وقد تلاحظون أننى لا أعبأ بأن أرى الوقاحة وقد أسئ تقديرها؛ إنها أشد أشكال التناقض إذلالاً وسط التخنّث الحديث؛ إنها من أولى فضائلنا. فإذا كان الإنسان ثرًا وغنيا بما فيه الكفاية بالنسبة لها فإنه قد يكون من المفرح للإنسان أن يكون مخطئا. إن إلها ينزل إلى الأرض لن يستطيع أن يفعل شيئا سوى أن يخطئ ـ فإن حمل الإنسان (لخطيئته) لا العقاب هو أول علامة على الألوهية.

(٦)

التحرر من الاستياء وفهم الاستياء ـ مَنْ يعرف فوق كل شئ كم أنا مدين كثيرا لمرضى الطويل بالنسبة لهذه الأشياء؟ إن المشكلة ليست بالدقة بسيطة: إن الإنسان يجب أن يعيش التجارب من خلال قوته وضعفه معا. فإذا استطعنا أن نتحمل أى شكوى ضد المرض

والضعف فإن الأمر أنه مع هذا تتآكل غريزة الشفاء نفسها التى هى غريزة الدفاع والحرب فى الإنسان. إنه لا يعرف كيف يتخلص من أى شئ وكيف ينهى أى شئ وكيف ألقى بأى شيء وراءه. إن كل شئ يجرحه. الناس والأشياء يبرزان فى تلاصق معا وكل التجارب تضرب عميقا، والذاكرة هى مخزن متقيّح. إن المرض نوع من الاستياء في ذاته وضده فإنّ الباطل ليس له سوى علاج واحد - إننى أسميه (القدرية الروسية)، هى تلك القدرية غير المتمردة التى يتحلى بها الجندى الروسى عندما تصبح الحملة غير محتملة فإنه يرقد فى النهاية فى الثلوج. إن عدم تقبل أى شئ إضافى - والتوقف تماما عن رد الفعل... إنّ الحصافة الشديدة لهذه القدرية التى ليست هى مجرد شجاعة دائما فى وجه الموت ولكنها فى ظل أشد الظروف خطراً قد تعمل نحو الحفاظ على الذات ترقى إلى تقليل النشاط فى الوظائف الحيوية والإبطاء الذى يشبه نوعا من الإرادة فى حالة السبات. وهناك خطوات أبعد فى هذا الاتجاه لدى الفقير الذى ينام أسابيع فى مقبرة. ولما كان الإنسان يتعود بسرعة إذا ما تصرف إزاء هذا فإن الإنسان لا يعود يتصرف على الإطلاق: هذا هو المبدأ. لا شئ يستنفد الإنسان أسرع من انفعال الاستياء. إن إماتة الشهوات، قابلية الحساسية المرضية، العجز عن الانتقام لنفسه، الرغبة، التعطش للانتقام، تجهيز كل نوع من أنواع السموم - للإنسان المنهك المستهلك، هذا هو بالتأكيد أكبر طريقة لرد الفعل. إنه يتضمن استنفادا سريعا للطاقة العصبية، زيادة غير عادية فى الإفرازات الضارة، وعلى سبيل المثال زيادة الصفراء فى المعدة. إن الاستياء يجب منعه فوق كل شئ عن المريض - فهذا هو خطره(هو) الخاص:

ولسوء الحظ. إنه أيضا أكبر نزوع طبيعى له. وقد فهم هذا فهما تاما بوذا عالم الفسيولوجيا العميق؛ فإن(ديانته) التى يفضل أن نسميها نسقا من علم الصحة لتجنب خلطه بالمسيحية يقوم تأثيرها على الانتصار على الاستياء. تحرير النفس من الاستياء هذا هو الخطوة الأولى نحو الشفاء«لا من خلال العداوة تنتهى العداوة؛ من خلال الصداقة تنتهى العداوة»: هذا ما يقوم فى بداية تعاليم بوذا ـ وليس هذا صوت الأخلاقيات، بل صوت الفسيولوجيا. إن الاستياء المتولّد من الضعف لا يضر أحداً أكثر مما يضر الإنسان الضعيف نفسه ـ وبالعكس فمع الطبيعة الثرّة الغنية أساسا يعد الاستياء شعورا زائدا تافها إذا ما ظل الإنسان مسيطرا عليه يُعد دليلا على الثراء. والقراء الذين يعرفون التحمس الذى تشن به فلسفتى الحرب ضد مشاعر الانتقام والضغينة «حتى إلى مدى الهجوم على عقيدة (الإرادة الحرة) (وإن نزاعى مع المسيحية ليس إلا مثلا خالصا على هذا) سوف يفهمون لماذا أريد أن أؤكد موقفى الخاص ويقين غرائزى العملية فى هذه المسألة. فى فترة تدهورى حرمت على نفسى هذه المشاعر لأنها ضارة؛ ولكن بمجرد ما استعادت حياتى الثروات والكبرياء بما فيه الكفاية مازلت أحرّمها على نفسى ولكن هذه المرة لأنها أصبحت (تحتى). (هذه القدرية الروسية) التى تحدثت عنها تظهر فىّ على نحو أننى ظللت لعدة سنوات أتمسك بشدة بظروف لا تحتمل وأماكن وعادات ورفاق بمجرد ما وضعتهم الصدفة فى طريقى ـ وهذا أفضل من تغييرهم وأفضل من الشعور بأنه يمكن تغييرهم وأكثر من التمرد ضدهم. إنّ من يحاول أن يشكك فى هذه القدرة، من يحاول بالقوة أن يوقظنى يبدو لى عدوا لدودا ـ وفى الحقيقة يظهر

خطر الموت فى كل مرة يحدث هذا التفكير فى ذات المرء كمصير لا الرغبة فى الذات أن تكون (مختلفة) هذه - فى مثل هذه الظروف - هى أعلى حكمة.

(٧)

غير أن الحرب هى شئ آخر. إننى فى جوهرى محارب. إن الهجوم مسألة غريزة فىّ. أن تكون قابلا لأن تصبح عدوا، أن تكون عدوا - ربما يفترض هذا طبيعة قوية؛ وعلى أية حال إن هذا مرتبط بكل الطبائع القوية. إنهم يحتاجون إلى مقاومة وبالتإلى هم يبحثون عنها. إن الحنين إلى العدوان يمت بالضرورة للقوة بقدر ما أن مشاعر الانتقام والضغينة تمت إلى الضعف.

إنّ المرأة على سبيل المثال محبة للانتقام؛ وضعفها يتضمن هذا الانفعال تماما كما أنه يتضمن شكها فى محنة الآخرين. إنّ قوة المعتدى تتحدد بشكل ما بالمعارضة التى يحتاج إليها؛ إن كل زيادة فى القوة تخون نفسها بالبحث عن مزيد من الخصوم المرعبين - أو المشكلة: لأن الفيلسوف المقاتل سوف يتحدى حتى المشكلات ليقاتل معها. ليست المهمة هى قهر الخصوم بصفة عامة بل قهر الخصوم الذين يجمع المرء قواه ومهارته ومقدرته على القتال ضدهم - الخصوم الذين هم مساوون له... أن تكون متساويا مع الخصم - هذا هو الشرط الأول للقتال الشريف. وعندما يُكِنُّ المرء الاحتقار فإنه (لا يستطيع) أن يشن الحرب. عندما يوجه الإنسان الأوامر، عندما يرى شيئا(تحته) فإن(عليه) ألاّ يشن الحرب. إن تكتيك الحرب التى أشنها قائم فى أربعة مبادئ: أولا أنا لا أحارب إلا الأشياء المختصرة - وإذا

اقتضى الأمر فإننى أنتظر حتى تصبح هكذا. ثانيا إننى لا أحارب سوى الأشياء التى لا يكون لى حلفاء معى ضدها، والتى أقف إزاءها وحيدا والتى ضدها لا أضم سوى نفسى... إننى بصراحة لا أتخذ خطوة واحدة إطلاقا لا تضم نفسى.-هذا هو معيارى(أنا) بالنسبة للحالة السديدة للفعل. ثالثا: إننى لا أهاجم الأشخاص إطلاقا - إننى لا أستغل الشخصية إلاّ لتكون مرآة مصقولة قوية والتى بها أعتبرها شرا عاما فعلاً وإن كان مرئيا. وبهذه الطريقة هاجمت الفيلسوف ديفيد شتراوس أو بدقة أكبر هاجمت الترحيب الشديد الذى استقبلت به طبقات ألمانيا المثقفة كتابا مفردا - ومن ثم أمسك بهذه الثقافة وهى ملتهبَة. وبهذه الطريقة هاجمت فاجنر أو بدقة أشد الزيف أو الغرائز الهجينة (لثقافتنا) التى تخلط الرهافة المفرطة بالوفرة، والتفسّخ بالعظمة. رابعا: إننى لا أهاجم سوى تلك الأشياء التى فيها يتم استبعاد كل الفروق الشخصية والتى تنقصها أية خلفية للتجارب غير السارة. وفى الحقيقة إن الهجوم هو بالنسبة لى برهان على الإرادة الطيبة، وفى بعض الظروف المعنية هو دليل على العرفان بالجميل. إننى بالهجوم أمجّد شيئا وأميز شيئا، والأمر سواء بالنسبة لى فيما لو ربطتُ اسمى بمؤسسة أو شخص أو ما إذا كنت(ضد) أو مع أى منهم. فإذا أشعلت الحرب ضد المسيحية فإننى أفعل هذا لأننى لم أجد أية مصاعب أو مشاق من هذه الناحية - إن أكثر المسيحيين حرارة هم محتقرون دائما فى نظرى؛ إننى شخصيا أقصى خصم للمسيحية. إننى أبعد من أن أُعدّ الفرد مسئولا عما يظهر بشكل حتمى من العصور الطويلة الممتدة.

(٨)

هل لى أغامر فأُبرز مَعْلماً أخيراً لطبيعتى لم يسبب لى مصاعب بسيطة خلال اشتباكى مع الناس؟ إننى وُهِبْتُ غريزة غير مكارة بالمرة هى غريزة النظافة: حتى أننى أستطيع أن أؤكد فسيولوجيا ـ أى أشم ـ القُرب إن جاز لى القول ـ أشم اللب الجوهرى، أشم(أحشاء) كل نفس إنسانية. هذه الحساسية لها قرون استشعار سيكولوجية بها أشعر وأتناول كل سر: القذارة الخفية فى أساس العديد من الطبائع الإنسانية التى ربما تكون نتيجة دم منحط، والتى ربما قد طُرحت بإفراط من جرّاء التربية. وهذا ينكشف لى من أول لمحة. فإذا كانت ملاحظتى صحيحة فإن مثل هؤلاء الناس الذين لا يطيقهم إحساسى بالنظافة يصبحون داعين من جانبهم بنزعة الحذر الناتجة عن اشمئزازى؛ وهذا لا يجعل لهم بأى حال من الأحوال أى عبير... إنَّ موقفاً صارماً للنظافة نحو نفسى هو الشرط الأول لوجودى؛ إننى أموت فى الوسط غير النظيف، ولهذا عوّدت نفسى دائما على السباحة والاستحمام والاغتسال دوما فى الماء، فى أى نوع من العناصر الشفافة والمتألقة والكاملة. وذلك هو السبب الذى لا يجعل الاشتباك الاجتماعى محطاً بسيطاً بالنسبة لصبرى؛ إن إنسانيتى لا تقوم فى أن أتعاطف مع مشاعر رفاقى، غير أننى أستطيع أن أطيق ذلك التعاطف. إن إنسانيتى هى سيطرة مستمرة على الذات. غير أننى محتاج إلى الوحدة ـ أى الشقاء؛ محتاج إلى العودة إلى نفسى، محتاج إلى التنفس بحرية، محتاج إلى الضوء، محتاج إلى الهواء النقى. إن (زرادشت) بطلى ليس سوى أغنية من نوع الدثيرامب من الوحدة أو النقاء إذا جاز لنا الفهم الحق. ولحسن

الحظ ليس هذا من (الحماقة الخالصة)! إنّ مَنْ له عين معتادة على الألوان يسمى الأنوار ماسات. إن الاشمئزاز من البشرية، من الحشد هو دائما أكبر أخطارى. هل لكم أن تستمعوا للكلمات التى يتحدث بها زرادشت عن الخلاص من الاشمئزاز؟:

«ماذا حدث لى؟ كيف حررت نفسى من الاشمئزاز؟ مَنْ ذا الذى جدّد شباب عينى؟ كيف طرت إلى الذرى حيث لا يعود يجلس أى حشد عند الآبار؟

«هل اشمئزازى نفسه هو الذى خلق لى أجنحة وقوى تجنيح؟ حقا إلى أعلى الذرى علىّ أن أطير لأجد ثانية بئر الابتهاج!

«أواه لقد وجدته يا إخوتى! هنا على أعلى الذرى يزيد من أجلى بئر الابتهاج. وهناك حياة عند تلك المياه التى لا يشرب منها الحشد معى!

«يكاد بعنف شديد - أن يتدفق من أجلى تلك النافورة من الابتهاج! وفى الغالب عليك أن تفرغ كأسك ثانية إن كنت تريد أن تملأه!

«ومع هذا علىّ أن أتعلم أن أقترب منكم على نحو أكثر تواضعا. فبعنف شديد جدا لا يزال قلبى يتدفق نحوكم:

«إن قلبى الذى يحترق فيه صيفى؛ صيفى القصير الحار الكثيف المفرط فى السعادة: كيف يحنّ قلبى الصيفىّ لبرودتكم!

«لقد ولّى الأسى المتريث لربيعى! لقد ولّى ضعف كراتى الثلجية فى يونيو! لقد أصبح كلى صيفا؛ بل ظهيرة صيف بكاملها.

«إنّ صيفا على أعلى الذرى مع نافورات باردة وسكون مبارك: أوه، تعالوا يا أصدقائى، فقد يصبح الهدوء أكثر بركة!

«هذه هى ذروتنا وموطننا. عاليا جوا ومنحدرا نسكن هنا بالنسبة لكل غير النظيفين وبالنسبة لتعطشهم.

«لا تلقوا إلاّ بعيونكم الصافية فى بئر ابتهاجى يا أصدقائى! كيف يمكن أن يصبح عكرا! إنه سوف يضحك فى وجهكم بصفانه(هو).

«على شجرة المستقبل نبنى عشناً؛ وسوف تحمل النور لنا نحن المتوحدين طعاما فى مناقيرها!

«حقا ليس طعاما مما يشارك فيه غير الأنقياء! سوف يعتقدون أنهم التهموا نيرانا ويحرقون أفواههم!

«حقا إننا لا نحتفظ هنا بأى مقرّ جاهز لغير الأتقياء! كهف من ثلج لأجسامهم ستكون سعادتنا لأرواحهم.

«وكالرياح القوية سوف نعيش فوقهم ونحن جيران للنور، جيران للثلوج، جيران للشمس: هكذا تعيش الرياح القوية.

«ومــثل ريح ســوف أهب ذاتَ يوم بنيــهــا وبروحى أتنفس من أرواحها: و هكذا أريد مستقبلى.

«حقـا ريح قـوية هـى زرادشت بالنسـبة لكل الأماكن المنخفضة؛ وهذه النصيحة سيوجهها لأعدائه، لأى شئ يبصق ويتقيأ:

«احرصوا على ألا تبصقوا(ضد) الريح».

لماذا أنا بهذه المهارة

(١)

لماذا أعرف أكثر مما يعرف الآخرون؟ لماذا - بصفة عامة - أنا بهذه المهارة؟ لم يحدث إطلاقا أن توقفت عند الأسئلة التى ليست أسئلة حقا، ولم يحدث إطلاقا أننى استنفدت قواى. فعلى سبيل المثال ليست لدى خبرة بالمشكلات الدينية الحقيقية. وأنا لست على ألفة بالشعور (بالخطيئة) وبالمثل ينقصنى معيار صادق لتحديد وخز الضمير: ومما يسمعه الإنسان فإنّ وخز الضمير لا يلوح لى شيئا جديرا بالتبجيل. أنا أكره أن أترك فعلا من أفعالى يتسكّع؛ إننى أحب أن أقتلع كلية النتيجة السيئة، النتائج، من أية مشكلة تتضمن القيم. فى وجه النتائج الشريرة من السهل للغاية أن أفقد الوجهة الحقة التى أنظر منها إلى الحدث. إنّ وخز الضمير يبدو لى نوعا من(العين الشريرة). إن شيئا يفشل يجب أن يُكَرَّم على نحو أفضل لا شئ سوى أنه فشل - هذا يتفق على نحو أفضل مع أخلاقياتى - (الله)، (خلود النفس)، (الخلاص)، (الما وراء) - هذه مجرد أفكار لا أوجه إليها أى انتباه ولم أضيّع إزاءها أى وقت حتى وأنا طفل - وإن كان من الأرجح أننى لم أكن طفلا بما فيه الكفاية - وأنا لست على دراية بالمرة بالإلحاد نتيجة لهذا، إن المسألة بالنسبة لى مسألة غريزة. إننى دائم التساؤل على نحو شديد؛ شكاك على نحو مفرط، ومتكبر على نحو شديد؛ فلا أدع نفسى تقنع بحل للأشياء يكون واضحا وسهلا. والله هو حل واضح وسهل؛ حل غير مريح بالمرة

بالنسبة لنا نحن المفكرين - ، وفى الأعماق إن (الله) ليس سوى (أمر) فج ضدنا: أنتم لن تفكروا!(إننى مهتم أكثر بمسألة أخرى) - عليها يتوقف (خلاص البشرية) أكثر من اهتمامى بالفضول اللاهوتى، إنها مسألة التغذية. فلدواعٍ عادية يمكن صياغة المسألة على النحو التالى:

«كيف يمكن (لكم) بالضبط أن تغذّوا أنفسكم لكى تصلوا إلى ذروة قوتكم أو (فضيلتكم) بأسلوب عصر النهضة - الفضيلة المتحررة من الأخلاقيات؟ «هنا تكون تجاربى على وعى بهذه المسألة وأن أستخلص (الفهم) من تجاربى. وفى التفاهة الكلية لثقافتنا الألمانية - مثاليتها - يمكن إلى حد ما تفسير أنه فى هذه المسألة ذاتها كنت متأخرا وإنّ جهلى كان مطبقا. فهذه (الثقافة) من أولها إلى آخرها تعلّم الإنسان أن يفقد بصيرته إزاء الحقائق. وبدلا من هذا نجرى وراء أهداف إشكالية تسمّى مثالية؛ وعلى سبيل المثال(الثقافة الكلاسيكية) - كما لو لم يكن محتّما علينا منذ البداية فى مسعانا أن أن نوحد(الكلاسيكى) و (الألمانى) فى مفهوم واحد! بل إنّ الأمر ليدعو إلى شئ من السخرية - مجرد محاولة تصوير مواطن من ليبزج مثقف كلاسيكى! فى الحقيقة إننى أعترف بأنه حتى سن النضج كان طعامى سيئا - وإذا عبرت عن هذا بالمصطلحات الأخلاقية - كان طعامى(لا شخصيا) و(لا ذاتيا) و(غيريا) بالنسبة لعظمة الطباخين والرفاق المسيحيين الآخرين. فمثلا كان طبيخ ليبزج مع دراستى الأولى لشوبنهور(١٨٦٥) مما جعلنى أنكر بشدة(إرادتى للحياة). أنْ يصبح الإنسان سئ التغذية وأن تتلف معدته - هذه المسألة يبدو لى أنه يتم حلها على نحو يدعو للإعجاب بالطبخة

السالف ذكرها.(يقال إنه فى عام ١٨٦٦ أُدْخلت تغييرات فى هذه المسألة) ولكن بالنسبة للطبخ الألمانى بصفة عامة ـ ما لم يثقل هذا على الضمير! الحساء (قبل) الوجبة، لا يزال يرد هذا فى كتب الطهى. فى مدينة البندقية فى القرن السادس عشر يُطبخ اللحم حتى تضيع النكهة، تطبخ الخضراوات مع الدسم والدقيق، تُرقّق الفطائر حتى تصبح فى سُمْك الورق[1] وأضف إلى هذا عادات(القدماء) الوحشية لا مجرد الألمان القدماء، وسوف تشرعون فى فهم أين يقع مصير العقل الألمانى ـ فى موضع مضطرب متعلق بالمعدة. إن العقل الألمانى عسير الهضم؛ إنه لا يستطيع أن يتمثل شيئا، ولكن حتى لو كان عقلا انجليزيا والذى هو ضد العقل الانجليزى وفى الحقيقة عقل فرنسى فإن الوجبة تبدو أنها(عودة إلى الطبيعة) ـ أى عودة إلى أكل لحوم البشر ـ وهذا بغيض بالنسبة لغرائزى. إنه يبدو لى أنه يعطى العقل قدما ثقيلا، قدم امرأة انجليزية. إن الكحول لا يناسبنى؛ إنّ كأسا واحدا من النبيذ أو البيرة فى اليوم لكاف ليحوّل الحياة إلى واد من الدموع بالنسبة لى: ـ وفى ميونيخ يعيش من هم على النقيض منى. أعتقد أننى توصلت إلى فهم هذا على نحو عقلانى ولكن متأخرا. ومع هذا فقد(عشت) هذا كمجرد طفل. فعندما كنت طفلا اعتقدت أن شرب النبيذ وتدخين التبغ من العادات السيئة بكل بساطة.. وربما كان نبيذ نورمبرج مسئولا فى جانب منه عن هذا الحكم الشديد. إن الإيمان بأن النبيذ كان يبهج، كان لابد أن أؤمن بما هو بالنسبة لى عبث. إنّ الأمر غريب جدا، فبينما تُحطّ كميات قليلة من الكحول من قواى النفسية فإن الكميات الكبيرة كانت تجعلنى أتصرف أشبه ببحار يرحل من الشاطئ. حتى وأنا طفل

أظهرت شجاعتى فى هذا المضمار. إن تأليف وتدبيج مقال طويل باللاتينية فى ليلة واحدة وطموح المحاكاة بقلمى بصرامة وقسوة هو شئ نموذجى بجانب نثر التدريب بعصارات حارة قوية قليلة - وكان هذا الإجراء عندما كنت طالبا فى مدرسة بفورتا القديمة الوقورة على نحو لا يتلاءم مع فسيولوجيتى حتى لو كان هذا متفقا مع بفورتا المبجلة. وفيما بعد فى منتصف حياتى أصبحت أكثر حسما بالنسبة للمشروبات الروحية. إننى خصم للعيش على النبات من خلال تجربتى مثل ريتشارد فاجنر الذى هو ضدى لا يستطيع أن ينصح بمزيد من الطبائع (الروحية) للامتناع عن الكحول كلية. إنَّ الماء يلبى الغرض نفسه. إننى أحب تلك الأماكن من العالم حيث يتوفر مفهوم (الحقيقة) - بالنسبة لى تحرّك الروح عديدا من الفرص والمناسبات للشرب من الجداول الجارية كما فى نيس والتورين وسيلر حيث يتبعنى الماء أينما أستدير. (فى النبيذ حياتى): يبدو لى هنا إننى لا أتفق مع بقية أوجه المياه... هنا مزيد من النصائح المستمدة من أخلاقياتى... إن وجبة ثقيلة يمكن هضمها بسهولة أكبر من وجبة هزيلة. الشرط الأول للهضم الجيد هو أن تكون المعدة فعّالة بشكل كلى. ولهذا فإنّ الإنسان عليه أن يعرف حجم معدته. وللأسباب نفسها أنصح ضد كل الوجبات المطولة التى أسْميها ولائم التضحية والتى تكون فى الموائد. ولاشئ بين الوجبات: لا قهوة، القهوة تجعل الإنسان كئيبا ولا أنصح بالشاى إلا فى الصباح وبكميات قليلة، ولكن على أن يكون قويا. قد يكون ضارا جدا ويتعبك طوال اليوم إذا كان خفيفا. هنا لكل إنسان معياره وغالبا بين أشد الحدود ضيقا ودقة. وفى كل جو ضعيف لا أنصح أن تبدأوا اليوم بالشاى: قبل

هذا بساعة من المستحسن أن تتناولوا فنجانا من الكاكاو الثقيل دون خلطه بأية زيوت. وظلوا فى مقاعدكم قليلا قدر الإمكان؛ لا تثقوا بأية فكرة لا تولد فى الهواء الطلق، ولا تصاحبوا حركة الجسم الحرة - ولا تثقوا بأية فكرة لا تحتفل فيها عضلاتكم بالعيد. إن حياة قابعة مقيمة - كما قلت لكم من قبل - هى الخطيئة الحقيقية ضد الشبح المقدس.

(٢)

إن مسألة التغذية مرتبطة ارتباطا شديدا بالمحلية والمناخ. إنَّ أياً منّا لا يستطيع أن يعيش فى أى مكان، ومَنْ عنده مهام كبرى يؤديها فإنها تتطلّب كل طاقته. ليس أمامه فى هذه الحالة إلاّ اختيار محدود للغاية. إنَّ تأثير المناخ على الوظائف الجسمانية، ممارسة تأخيرها أو تسارعها كبير للغاية حتى أن التخبط فى اختيار المحلية والمناخ لا يقتصر على تغريب الإنسان عن واجبه، بل قد يحول بينه وبين نفسه كلية حتى أنه لا يتواجه معها أبدا. إن القوة الحيوانية لا تسود فيه إطلاقا إلى درجة أنها تتركه يحصل على حرية مفرطة فيما يمكنه أن يقوله لنفسه: أنا وحدى أستطيع أن أفعل هذا... إنَّ أوْهى بلادة للمصائر إذا ما أصبحت عادة كاف ليحوِّل العبقرية إلى شئ متوسِّط، شئ ألمانى؛ إن مناخ ألمانيا وحده أكثر من كاف لإحباط همة أقوى المصائر وأكثرها بطولة. وعلى إيقاع وظائف الجسم يتوقف بشكل لصيق تسارع أو تباطؤ قوة الروح؛ وفى الحقيقة إن الروح نفسها ليست سوى شكل من أشكال هذه الوظائف الجسمانية. عدّوا الأماكن التى كان فيها أصحاب العقول الكبيرة ولا يزالون يوجدون بها؛ حيث اللُّماحيَّة والرهافة والليونة، وهى جزء

من السعادة؛ حيث العبقرية تكاد تكون بالضرورة فى مستواها: كلها لها جو جاف على نحو غير طبيعى. باريس، بزفنس، فلورنسا، القدس، أثينا - هذه الأسماء تبرهن على ما أقول: تلك العبقرية تتوقّف على الهواء الجاف والسماوات الواضحة - بقول آخر، تتوقف على وظائف عضوية سريعة، على إمكانية الضمان المستمر لذات الإنسان بحيث تكون عظيمة وذات كميّات هائلة من الطاقة. إنّ لدى حالة فى عقلى حيث يكون الإنسان المهم ذو العقلية المستقلة إخصائيا ضيّق الأفق ومهووسا لأنه ليس لديه أى شعور بالمناخ. أنا نفسى كان يمكننى أن أصل إلى نفس النهاية لولا أن المرض أرغمنى على التعقل والتأمل في العقل على نحو واقعى. إنّ الممارسة الطويلة قد علمتنى أن أقرأ آثار المناخ والتاثيرات الجوية من الملاحظة الذاتية كما لو كان لدى جهاز دقيق يعوّل عليه، حتى أننى أستطيع أن أحصى التغير فى درجة الرطوبة الجوية عن طريق هذه الملاحظة الذاتية الفسيولوجية، حتى فى مثل هذه الرحلة القصيرة كما لو كانت من التورين إلى ميلانو؛ وبالتإلى أرْتعب من الحقيقة المزيفة. إن حياتى كلها حتى السنوات العشر الأخيرة - أخطر السنوات - قد ضاعت فى الأماكن الخطأ، أماكن كان يجب أن تكون محرمّة علىّ: نومبرج، بفورتا، تورنجيا بصفة عامة، ليبزج، بازل، البندقية. أماكن خطرة عديدة لتكوينى لو لم تكن لى ذاكرة مفردة سعيدة عن طفولتى وشبابى، لكان من السخف تقدير هذا بما يسمى الدواعى (الخلقية) - وعلى سبيل المثال النقص الشديد من الرفاهية الكافية؛ فهذا النقص ماثل اليوم كما لو كان الأمر من قبل وهذا لم يمنعنى من أن أكون سعيدا وشجاعا. لكن الجهل بالفسيولوجيا - هذه (المثالية) اللعينة -

هى اللعبة الكبرى فى حياتى، العنصر الزائد والغبى فيها: منها لا يتطور أى «شىء طيب، ولها لا يمكن أن يوجد أى استقرار وأى تعويض. ونتيجة هذه المثالية تأتى كل الاضطرابات، الانحرافات الكبرى للغريزة (والتخصصات المتواضعة) التى حرفتنى عن مهمة حياتى: وعلى سبيل المثال لما كنت قد أصبحت فقيها لغويا - فلماذا لم يوجد طبيب أو أى إنسان يفتح عينى وينبهنى؟ إبان إقامتى فى بازل كان الروتين العقلى الكلى بما فى ذلك برنامجى اليومى إساءة استعمال لا معنى لها للقوى الفريدة دون أى نوع من التعويض عن القوة التى بذلتها، دون حتى فكرة استنفادها ومشكلة إحلال شئ كلها كانت تنقصنى هذه الإنِّيَّة الدقيقة، الحماية التى تعطيها غريزة آمرة؛ إننى أعدّ كل الناس متساوين، لقد كنت (غير مهتم)، لقد نسيت مسافتى عن الآخرين - بالاختصار، لقد كنت فى وضع لا أستطيع معه أن أغفر لنفسى إطلاقا أى سبب وعندما كدت أصل إلى النهاية لأننى كدت أن أصل إليها بدأت التأمل فى العبثية الرئيسية لحياتى - (المثالية). لقد كان المرض هو الذى نقلنى إلى الفعل.

(٣)

اختيار التغذية؛ اختيار المناخ والمكان؛ والشئ الثالث الذى لا يجب ان نخطئ بشأنه على أى نحو من الأنحاء يتعلق بمنهج(الاسترداد) أو(التجديد). هنا مرة أخرى - إلى المدى تكون الروح فيه نسيج وحدها فإنّ حدود المسموح به أى المفيد بالنسبة للإنسان يزداد ضيقا. وفى حالتى تعد(القراءة) بصفة عامة إحدى طرقى للاستعادة أو التجديد، وبالتالى إنها جزء من ذلك الذى يمكننى من الهرب من نفسى والتجوّل فى العلوم الغريبة - وبالنسبة

لهذا لم أعد أبدى اهتماما. فى الحقيقة إن القراءة تسمح لى بالشفاء من اهتمامى(أنا). عندما أنهمك فى العالم لا يُشَاهَدُ أى كتاب بالقرب منّى؛ إننى حريص على ألا أسمح لأى إنسان أن يتحدث أو حتى يفكر فى حضورى. وإلى هذا المستوى ترقى القراءة. هل حدث لأى إنسان أن يلاحظ خلال ذلك التوتر العميق الذى تدين فيه حالة الحمل الفكرى العقْلَ وأن الجهاز العضوى الكلى وكل شئ عرضى وكل نوع من أنواع البواعث الخارجية إنما تعمل بقوة وتنقد عميقا أيضا؟ يجب على الإنسان أن يتجنب ما هو عرضى وما هو باعث خارجى بقدر الإمكان: إنّ نوعا من التمرّس هو من أوائل الحذر المسبق الغريزى للحمل الروحى. هل أسمح لفكرة غريبة أن تتسلّق سرا على الجدار؟ فهذا هو بالضبط ما تعنيه القراءة... إنّ فترات العمل والإنتاجية تتبعها فترات الاسترداد أو التجدّد: بالنسبة لى الكتب الذكية الثقافية الرائعة! هل يكون كتابا ألمانيا؟... يجب أن أرتد ستة أشهر حتى أرى نفسى ثانية وفى يدى كتاب. ماذا كان؟ دراسة رائعة كتبها فكتور بروشار وهى(الشكّاك اليونانيون) وكان تقدمى لمسابقة فى السابق عوناً لى على القراءة. الشكاك! ـ الأنماط(المبجلة) الوحيدة وسط الوجوه المزدوجة، أى الجنس ذو الوجوه الخمسة؛ الفلاسفة!... وإلاّ ألجأ دائما إلى الكتب نفسها، قليلة العدد، الكتب الملائمة بالضبط لاحتياجاتى. ربما ليس من طبيعتى أن أقرأ كثيرا أو بتنوّع: إن المكتبة تجعلنى مريضا، كما أنه ليس من طبيعتى أن أحب كثيرا أو أنواعا عديدة من الأشياء. إن الشك بل حتى العداء تجاه الكتب الجديدة أقرب لغريزتى من(التسامح) و(القلب الكبير) والأشكال الأخرى(لحب الجار)... وإننى أعود كثيرا ومرارا إلى عدد قليل من

المؤلفين الفرنسيين. إنني لا أؤمن إلا بالثقافة الفرنسية وإنني أعتبر كل ما عداها فى أوربا مما يسمى(ثقافة) سوء فهم خاص. من الصعب أن نتحدث عن تنوع الثقافة الأعلى التى عددتها فى ألمانيا كلها فرنسية فى أصلها، وفوق كل شئ السيدة كوزيما فاجنر التى تتمتع إلى حد كبير بحكم ممتاز فى مسائل الذوق التى سمعت عنها. وحتى لو لم أقرأ فإننى بشكل حرفى أحب الفيلسوف باسكال باعتباره أكبر تضحية تعليمية للمسيحية وهو يقتل نفسه ببطء أولا جسمانيا ثم عقليا وفق هذا الشكل المرعب للقسوة اللا إنسانية؛ حتى لو كان فى نفسى شئ من فكر مونتنى - من يدرى؟ - وربما فى حسّى أيضا؛ حتى لو كان ذوق الفنان فىّ يسعى إلى حماية أسماء موليير وكورنى وراسين وليس بدون مرارة ضد عبقرية مخيفة مثل شكسبير، كل هذا لم يحل بينى وبين اعتبار الفرنسيين المحدثين رفاقا ساحرين أيضا. لا أستطيع أن أتخيل أى قرن فى التاريخ فيه شبكة من السيكولوجيين الباحثين والبارعين فى الوقت نفسه يمكن أن يتجمّعوا معا اليوم إلاّ فى باريس. وسوف أورد أسماء قليلة كيفما اتفق فعددهم ليس قليلا بأى حال من الأحوال - بول بورجيه، بيير لوتى، جيب، ميلاك، أناتول فرانس، جول لوميتر، أو الإشارة إلى واحد من جنس قوى لاتينى الأصلى أنا مغرم به بصفة خاصة وهو جى دى موباسان. وفيما بيننا أفضّل هذا الجيل حتى فى الأعلام العظام فيه وكلهم فسدوا من جرّاء الفلسفة الألمانية (هيبوليت تين - على سبيل المثال - أفسده هيجل، ويجب أن يشكره لأنه أساء فهمه لرجال عظام ولعصور عظام) وحيثما تتسلل ألمانيا فإنها تفسد الثقافة. إنّ الحرب هى أول شئ(تحرّر) روح فرنسا. وستندال من أسعد المصادفات فى

حياتى ـ فكل شئ مهم يحدث فى حياتى يتم بالمصادفة ـ لا بالتوصية ـ وستندال لا يُقَدَّر وله عين السيكولوجى التى تتوقّع الأشياء، ولديه قدرة على التقاط الحوادث وهو أعظم سادة الوقائع. وأخيرا وليس آخرا كملْحد مخلص وهو عيّنة نادرة وصعب اكتشافها فى فرنسا ـ وكل التبجيل لبروسبر ميريميه!... وربما أحسد حتى ستندال! لقد سُرقت منى أجمل نكتة إلحادية، ويمكن أن أقول بها فضلاً عن كل الشعوب:«المبرر الوحيد لله هو أنه غير موجود»... وأنا نفسى قد قلت فى موضع ما ـ ما هو أكبر اعتراض على الحياة؟ ـ الله...

(٤)

لقد كان الشاعر الألمانى هينريخ هاينى هو الذى أعطانى أسمى تصور للشاعر الغنائى. لقد نقّبت عبثا خلال ممالك كل العصور بحثا عن أى إنسان يساويه فى موسيقاه الحلوة والعاطفية. إنه يتمتع بذلك الضعف الإلهى الذى بدونه لا أستطيع أن أتصور الكمال، إننى أقدر الناس والأجناس وفق الضرورة التى عليهم أن يتصوروا بها إلها يشارك فى طبيعة الساطير إله الغابات. ويالها من براعة وأستاذية يتناول بهما الألمانية. فى يوم ما سوف يعلن الناس أن هاينى وشخصى هما أعظم الفنانين جميعا فى اللغة الألمانية؛ وإننا نجرّد ونعرّى بشكل لا يبارى كل ما يستطيع الألمان الخُلّص أن يفعلوه بهذه اللغة. ولابد أننى مرتبط ارتباطا عميقا بقصيدة «مانفريد» للشاعر الإنجليزى بايرون: لقد اكتشفت كل هوة وهاوية عنده فى نفسى ـ فى سن الثالثة عشرة كنت من النضج بحيث أستوعب هذا الكتاب. إن الكلمات تخوننى، إن كل ما لدى هو ظل احتقار لأولئك الذين يجرؤون

على ذكر(فاوست) لجوته إذا ما ذكرت قصيدة (مانفريد). إن الألمان يفاخرون عن تصور للعظمة - انظروا الموسيقى الألمانى شومان! لقد انتابنى الغضب إزاء تخمة السكون فألفت ذات يوم افتتاحية مضادة لمانفريد والتى أعلن هانزفون بولو أنه لم ير لها مثيلا من قبل على الورق. إنها إنهاك ليوتوربى إلهة الموسيقى والشعر. وبحثا عن أقصى صياغة لى لشكسبير لم أجد إلا هذا: لقد تصور نمط قيصر. مثل هذه الأشياء لا يستطيع الإنسان أن يخمنها - فإمّا الشئ أم لا. إن الشاعر الكبير لا يستمد إلاّ من تجربته - لدرجة أنه فيما بعد لا يستطيع أن يتحمل عمله... وبعد أن تأملت فى كتابى(هكذا تكلم زرادشت) أخذت أخطو فى غرفتى جيئة وذهابا لمدة نصف ساعة غير قادر على أن أتحكم فى نوبة بكاء لا يمكن تحملها. إننى لا أعرف قارئا نهما أكبر من شكسبير: فلماذا عانى حتى يكون فى حاجة إلى أن يلعب دور المهرج! هل مسرحية (هاملت) مفهومة؟ دون شك ولكنها من المؤكد أن تؤدى بالإنسان إلى الجنون... ولكن حتى يشعر الإنسان بهذا يجب أن يكون عميقا سحيقا فيلسوفا. إننا جميعا نخاف الحقيقة. وحتى أُدْلى باعتراف: أشعر بأننى متأكد بشكل غريزى أن لورد بايرون هو الأصل، المعذب الذاتى لهذا الأدب الأكثر رعبا: لماذا أعبأ بالأغبياء الأمريكيين وأشباه اللماحين؟ غير أن قوة أعظم واقعية فى الرؤية ليست هى المناقضة فحسب لأعظم واقعية فى الأفعال والمناقضة لما هو وحشى وما هو جريمة -(وهى تفترض الجريمة)... إننا لا نكاد نعرف لورد بايرون - أول واقعى بالمعنى الفنى الرائع للكلمة - من المؤكد بالنسبة لكل شئ فعله وكل شئ أراده وكل شئ عاشه فى نفسه... فليذهب كل النقاد إلى الشيطان!

فلنفرض أننى أضفيت طابعا مسيحيا على (بطلى زرادشت) باسم ليس من عندى، اسم ريتشارد فاجنر مثلا - إنّ بصيرة ألفى سنة لا تكفى لتخمين أن مؤلف كتاب(إنسانى، إنسانى جدا) هو المتنبئ (بزرادشت).

(٥)

إننى وأنا أتحدث عن تجديدات حياتى علىَّ أن أقول كلمة أو كلمتين عن عرفانى لإنسان قد زوّدنى بأعظم انتعاش وأكثره وُدًّا قلبيا - هذه هى - دون شك - علاقتى الصميمية مع ريتشارد فاجنر. إن علاقاتى بالآخرين مرت بخفة؛ ولكن دون ثمن كانت حياتى كلها حرماناً فى تلك الأيام فى تريبشن - أيام الثقة والاحتفاء والومضات الجليلة واللحظات العميقة. أنا أعرف ماذا يعنى فاجنر بالنسبة للآخرين؛ ولكن ما من سحابة قد ألقت ظلها على سمائنا(نحن الاثنين) وهذا يُرْجعنى ثانية إلى فرنسا - لمَ أتشاجر إطلاقا مع عشاق فاجنر، الذين يفكرون فى تكريم فاجنر معتقدين أنه يشبه الآخرين؛ بالنسبة لهؤلاء الناس ليس لدى سوى التواءة احتقار من شفتى. بالنسبة لطبيعتى المغتربة إزاء كل ما هو تيوتونى جرمانى حتى أن مجرد وجود ألمانى يتعب هضمى فإن أول لقائى مع فاجنر وأول لحظة فى حياتى جاءت عندما تنفّست بحرية. لقد استشعرته وأكرمته كأجنبى وكنقيض وكاحتجاج متجسّد ضد كل (الفضائل الألمانية) ونحن الذين عندما كنا أطفالا كنا نتنفس جو مروج الخمسينيات كنا متشائمين بالضرورة إزاء فكرة (ما هو ألمانى)؛ إننا لا نستطيع أن نكون شيئا آخر سوى أن نكون ثوريين - إننا لا

نستطيع أن نعطى ثقتنا لأية حالة من الحالات يكون النفاق فيها فى القمة. ولا يهم بالنسبة لى ما إذا كانت هذه الأعمال الثقافية ذات ألوان مختلفة اليوم، ولا يهم ما إذا كان المنافق يرتدى الزى القرمزى أو يرتدى زيًا قيصريا. حسن جدا إذن! كان فاجنر أيضا ثوريا - لقد هرب من الألمان. ليس لدى الفنان فى أوربا وطن إلا فى باريس؛ هذه الرهافة لكل الحواس الخمس كانت هى حالة فنّ فاجنر، هذه الحساسية إزاء الاختلافات وإزاء المرض السيكولوجى - هذه الأشياء لا توجد إلاّ فى باريس. ولا نجد فى أى موضع آخر هذه العاطفة إزاء مشكلات الشكل، هذه الجدّية إزاء (الإخراج) التى هى الجدية الباريسية. إن الألمانى طيب بالطبيعة. وفاجنر لم يكن بأية حال من الأحوال طيبا بالطبيعة. لكن سبق لى أن قلت ما فيه الكفاية عن موضوع الارتباطات مع فاجنر(انظر كتابى: بمعزل عن الخير والشر، الشذرة رقم ٢٩٦) وعن أولئك الذين يرتبط بهم ارتباطا وثيقا. إنه واحد من أواخر الرومانيين الفرنسيين من فرقة الفنانين ذوى الروح السماوية مثل ديلاكروا وبرليوز والذين هم جوهرهم مرضى ولا يمكنهم الشفاء، إنهم متعصبون خالصون (للتعبير) وفضلاء كلما واصلوا المسير... من كان أول الأذكياء التابعين لفاجنر؟ شارل بودلير، الرجل نفسه الذى كان أول مَنْ فهم ديلاكروا - هذا المتفسّخ النمطى الذى فيه أدرك جيل كامل من الفنانين أنفسهم؛ وربما كان آخرهم أيضا. ما هذا الذى لم أغفره لفاجنر إطلاقا؟ كونه قد استسلم للألمان - لقد أصبح امبرياليا ألمانيا. وحيث ينتشر ما هو ألمانى تفسد الثقافة.

(٦)

إذا ما قدّرنا الأشياء جميعا فإنه ما كان فى استطاعتى البقاء شابا بدون موسيقى فاجنر، وذلك لأنه بدا أننى محكوم علىّ بمجتمع الألمان. وإذا أراد الإنسان أن يتخلص من شعور الاضطهاد الذى لا يُحْتمل فقد يلجأ إلى الحشيش أو المخدرات. حقاً كان علىّ أن ألجأ إلى فاجنر. إن فاجنر هو الترياق المضاد، سم مضاد لكل شئ فى جوهره ألمانى - إنه سم وأنا لا أنكر هذا. ومنذ اللحظة التى جرى فيها ترتيب عرض(تريستان) للبيانو أصبحت فاجنر. إننى أقذف بأعمال فاجنر السابقة من تحتى فهى مبتذلة جدا، إنها(ألمانية)... ولكن منذ ذلك اليوم وأنا لا أزال أتطلع إلى عمل يضاهى(تريستان) فى سحره الخطر، هذه الكيفية المخيفة والحلوة مع هذه الأبدية؛ لقد بحثت بين الفنون جميعا ولكن عبثا. إن كل روائع ليوناردو دافنشى تفقد سحْرها مع أول نغمة فى(تريستان)، إنها الرائعة الكبرى على الإطلاق، وإن(المغنين العظام) و(الخاتم) ليست سوى استرخاء بالنسبة لهذا العمل. وحتى يصبح أكثر صحة - فإنّ هذه خطوة للوراء بالنسبة لطبيعة مثل فاجنر. إننى أعتبر أنه من الحظ الحسن الرائع أن عاش فاجنر فى الوقت المناسب وأنه عاش بالضبط وسط الألمان لكى يكون ناضجا لهذا العمل: وهو يعمل فىّ بقوة فضول عالم النفس. إنّ العالم يجب أن يكون فقيرا بالنسبة لمن لم يكن ذا صحة كافية(لشهوانية الجحيم): إن هذا متاح، بل حتمى، فالإنسان يستخدم هنا صيغة صوفية. افترض أننى أعرف أكثر من أى إنسان آخر المعجزات التى يقدر عليها فاجنر والعوالم الخمسين من مراحل الوجد التى لا يستطيع أن يصل إليها إلاّ مَنْ له أجنحة قوية؛ كما

أننى اليوم قوى بما فيه الكفاية لتحويل حتى أخطر الأشياء لصالحى، ومن ثم أزداد قوة، ولهذا فإننى أعتبر فاجنر أكبر المحسنين فى حياتى إنّ الرابطة التى تجمع بيننا هى أننا عانينا من كرْب أكبر مما يستطيع أن يتحمله معظم الناس فى هذا القرن؛ وهذا سوف يربط اسمينا للأبد. فلما كان فاجنر قد أساء الألمان فهمه فكذلك أنا وسوف أبقى هكذا للأبد. أنتم أيها الريفيون الأعزاء محتاجون أولا إلى قرنين من التنظيم السيكولوجى والفنّى!... لكنكم لا تستطيعون على الإطلاق إرجاع عقارب الساعة.

(٧)

بالنسبة لأكثر قرائى غرابة أحب أن أقول مجرد كلمة عما أريده حقا من الموسيقى. يجب أن تكون الموسيقى مرحة ومع هذا عميقة مثل عصر يوم فى شهر أكتوبر، يجب أن تكون فريدة وبهيجة ورقيقة مثل امرأة لذيذة وحلوة فى الرهافة والرشاقة... إننى لن أعترف إطلاقا بأن هناك ألمانيا(يستطيع) أن يفهم ماهية الموسيقى. إنّ هؤلاء الموسيقيين، أعظمهم، الذين يسمّون ألمانا كلهم جميعا أجانب من السلاف أو الكرواتيين أو الإيطاليين أو الهولنديين؛ أو هم مثل هِينريخ شوتز وباخ وهاندل، ألمان من جنس قوى، نوع بارد الآن. أنا نفسى لا تزال لدى قوة كافية لطرد كل الموسيقى الأخرى إذا ما تُرك شوبان وحده. ولأسباب ثلاثة استثنى(سيجفرد إديل) لفاجنر، وربما أيضا أشياء قليلة للموسيقى ليست الذى يفوق كل الموسيقيين الآخرين فى نكْهته الرائعة فى قيادته للأوركسترا؛ وأخيرا كل شئ يأتى من وراء الألب ـ (هذا الجانب) من الألب. أنا لا أعرف كيف أستغنى عن

روسيني وأقل من هذا أستغنى عن مقابله الجنونى فى الموسيقى المايسترو بليترو جاستى من البندقية. وأنا أبحث عن كلمة أخرى للموسيقى أرانى أرتد بشكل حتمى إلى البندقية. إننى لا أستطيع أن أعرف كيف أفرّق بين الدموع والموسيقى. أنا لا أعرف كيف أفكر فى الفرح أو فى الجنون بدون أن ينتابنى الخوف.

فوق الجسر وقفت ولكن متأخرا فى الظلام الحالك،
ومن أقصى البعيد جاء صوت يغنى؛
فى قطرات ذهبية تباعا
فوق الحافة المتألقة
الجندول، الأضواء، الموسيقى
ثملا، أعيش فى البعيد فى الظلام.
نفسى آلة مشدودة
تتحرك خفية
تغنى أغنية الجندول سرًا
تلمع فى السعادة المتألقة.
- هل سمعها أىّ منكم؟

(٨)

فى كل هذه الأمور - اختيار الطعام، الموقع، المناخ، التجّدد - فإن غريزة الحفاظ على الذات تسود وتعبّر عن نفسها بأقل غموض فى شكل غريزة الدفاع عن النفس. إن تحديد ما يسمعه الإنسان ويراه وانتزاع الإنسان لنفسه من عدة أشياء - هذه عناية إلهية أولية، البرهان الأول على أن الإنسان ليس شيئا عارضا، بل هو ضرورة.

إن الكلمة المعتادة لغريزة الدفاع عن النفس هى (الذوق). من الأمور المحتمة ألا يقتصر الأمر على أن نقول (لا) حيث نقول (نعم) فيدل على (النزاهة) بل أن نقول (لا) على (نحو نادر بقدر الاستطاعة)، ويجب أن يفصل الإنسان نفسه عن أى شئ يرغمه على تكرار كلمة (لا) مرارا. والسبب فى هذا هو أن كل تبديدات الطاقة الدفاعية مهما تكن بسيطة تتضمن فقدانات مفرطة هائلة ومطلقة عندما تصبح منتظمة على شكل عادة. إن أكبر تبديداتنا للطاقة مركب من سوء استخدامها المتكرر. إن بقاء الإنسان متصلا والإبقاء على الأشياء على مسافة - ولا تخدعوا أنفسكم فى هذه النقطة! - هو تبديد للطاقة وتوجيهها نحو الأعراض السلبية فقط. إن مجرد الضرورة المستمرة أن يظل الإنسان متنبّهاً قد يوهن الإنسان الذى لا يعود يدافع عن نفسه. فلنفرض أننى أعتزم الخروج من منزلى وبدلا من أن أذهب إلى مدينة التورين الهادئة الأرستقراطية وجدت مدينة ريفية ألمانية، إن غريزتى سوف تتجمع لتقاوم كل شئ يغزوها من هذا العالم الدنئ الجبان. أو فلتفرضوا أننى وجدت حاضرة ألمانية - ذلك البناء من الرذيلة الذى لا ينمو فيه شئ ولكن حيث يتم استيراد كل شئ سواء كان خيرا أو شرا. ألا أصبح حينئذ قنفذا؟ ولكن أن يكون لدى الإنسان أشواك القنفذ لأمْر يرقى إلى تشتيت الطاقة؛ ولو أننا اخترنا لأمكن أن نستغنى عن هذا وتصبح أيدينا فارغة بدلا من هذا.

وهناك شكل آخر من العناية والدفاع عن النفس قائم فى رد الفعل كشئ نادر ممكن وانتزاع الإنسان نفسه من تلك الأحوال والظروف التى تحكم عليه لوقف (حرّيته) ومبادرته وأن يصبح مجرد حزمة من ردود الافعال، إنّ نمطاً زائفا من هذا يتأسس فى التفاعل

مع الكتب إن الباحث الذى لا يعمل بالفعل سوى أن يغرق فى بحر الكتب ـ إن فقيه اللغة المتوسط قد يقرأ ٢٠٠صفحة فى اليوم ـ يفقد فى النهاية كليةً القدرة على التفكير لنفسه. إنه لا يستطيع أن يفكر ما لم يكن لديه كتاب بين يديه. ،عندما يفكر يستجيب لباعث (فكرة قرأها) ـ وأخيرا إنّ كل ما يفعله هو رد فعل.إن الباحث يكرس كل طاقته ليؤكد أو ينفى أو ينقد المسألة التى سبق التفكير فيها ـ إنّه لا يعود يفكر فى نفسه. فيه تكون غريزة الدفاع الذاتى قد تآكلت وإلاّ لكان قد دافع عن نفسه ضد الكتب . إن الباحث متفسّخ. وبعينى رأيت طبائع موهوبة ثرّة ذات روح حرة قرأت كثيرا وهى فى الثلاثين ـ وهى ليست سوى كبريت يجب إشعاله قبل أن تستطيع أن تولد أية إشارات أو(أفكار) إن قراءة كتاب مبكراً فى الصباح عند بزوغ اليوم فى قوة وفى فجر شباب الإنسان ـ هذه مفسدة كبيرة!

(٩)

هنا لا أستطيع أن أتجنب جوابا مباشرا عن السؤال:(كيف يصبح الإنسان ما هو عليه؟). وهنا أمسّ اللمسة البارعة لفن الحفاظ على الذات ـ (الأنانية)... إذا افترضنا أن مهمة حياة الإنسان ـ تصميم ومصير مهمة حياة الإنسان ـ تفوق كل تقدير المعيار المتوسط فلن يكون هناك خطر من أن يتواجه الإنسان مع نفسه من جانب هذه المهمة للحياة. إن كون الإنسان أن يصبح ما هو عليه يفترض أنه ليس لديه أدنى شك فيما هو عليه. من وجهة النظر هذه يُعطى معنى وقيمة فريدين حتى لتخبطات حياة الإنسان، الانحرافات والضلالات المؤقتة والترددات وأشكال الجبن والاهتمامات المضاعة

على مهمات بعيدة عن المحور. وفى هذه الأمور هناك فرصة للحكمة العظيمة ربما حتى أعلى حكمة؛ ففى هذه الظروف التى يعطى فيها الإنسان جوازا هى الحالة الاستثنائية التى أكون فيها ضد عادتى وقناعتى وأقف فى صف الميول (اللاأنانية) فهى هنا مشغولة بخدمة الأنانية والنظام الذاتى. إن السطح الكلى للوعى ـ لأن الوعى سطح ـ يجب أن يظل حرا من أى من الأوامر الكبرى. حذار حتى من كل كلمة بارزة وكل حركة مثيرة فكلها تفضى لإمكانية خطرة حتى أن الغيرة قد(تفهم نفسها) فى التو. وفى الوقت نفسه إن تنظيم(فكرة) مقدر أن تتم السيطرة عليها يستمر فى النمو فى الأعماق ـ وتبدأ هذه الفكرة فى تلقى الأوامر وتفضى بكم ثانية ببطء إلى انحرافاتكم وضلالاتكم، فهى تجهز نفسها مستشعرة بشكل لا يمكن الاستغناء عنه لكل مهمتكم ـ وبالتدريج تزرع كل الملفات الخادمة قبل أن تهمس بكلمة فيما يتعلق بالمهمة السائدة(الهدف)، (الغرض)، (المعنى). ومن هذه الزاوية فإنّ حياتى هى بكل بساطة حياة مدهشة. فمن أجل مهمة متعلقة (بتجاوز تقييم كل القيم) كان من الضرورى وجود مزيد من القدرات على نحو ربما أكبر مما يمكن أن نجده مُرَكّبا فى الفرد؛ وفوق كل شئ قدرات معارضة يجب ألا تكون معادية ومدمرة. مرتبة عالية بين القدرات، المسافة؛ فن الانفصال بدون خلق العداوة؛ عدم خلط الأشياء؛ وعدم التصالح مع شئ؛ أن يكون مختلفا بشكل هائل ومع هذا تكون عكس الفوضى ـ كل هذا هو الشرط الأول السرى الطويل وفن غريزتى والعمل. وتتجلى حراسة هذا الشرط بقوة حتى أننى لم أكن فى حاجة فى أى وقت ما إلى أية صميمية لما ينمو داخلى ـ إلى أن نضجت كل قدراتى فجأة، وذات يوم انفجرت

مكتملة. أنا لا أستطيع أن أتذكر مثلا يدل على ممارستى لنفسى، لا توجد(بيّنة) على(النضال) فى حياتى؛ إننى على عكس الطبيعة البطولية. أن(تريد) شيئا، أن(تسعى) وراء شئ، أن يكون لى(غرض) أو(رغبة) فى عقلى - لم أعرف أيا من هذه الأشياء من الخبرة. وفى هذه اللحظة نفسها تطلعت إلى مستقبلى - مستقبل(عريض)! - كما لو كان بحرا هادئا: ما مِنْ شوق يقلق هدوءه. ليست لدى أدنى رغبة أنه يجب على أى شئ أن يكون مختلفا عما هو: أنا نفسى لا أريد أن أكون مختلفا. إننى دائما على هذا النحو ليست لدى إطلاقا رغبة. إنّ رجلا بعد أن وصل إلى الرابعة والأربعين من عمره يستطيع أن يقول إنّه لم يُعَنِّ نفسه بمظاهر التكريم أوالنساء أو النقود إلا لأنها تنقصنى. بهذه الطريقة - مثلا - أصبحت ذات يوم أستاذاً جامعياً. مثل هذه الفكرة لم تخطر ببالى على الإطلاق، لأننى لم أكن قد بلغت الرابعة والعشرين. وبالطريقة نفسها قبل هذا بعامين - أصبحت ذات يوم فقيها من فقهاء اللغة، بمعنى أنَّ أول عمل لى فى فقه اللغة وهو مقالى عن ديوجين لايرتوس وبدايتى بهذه الطريقة كان بناء على طلب أستاذى ريتشل لكى ينشره فى مجلته التى يصدرها. (أقول بكل تقدير إن ريتشل كان الباحث الوحيد اللطيف الذى عرفته. إنه يمتلك الفساد فى الذوق الذى نتميز به نحن أبناء بلدة تورنجيانز والذى يمكن أن يجعل كل ألمانى متعاطفا حتى للوصول إلى الحقيقة التى نفضلها بشتى الطرق. هذه الكلمات لا يجب أن تؤخذ على أنها استنكار بأى معنى لسكنى المشترك فى بلدة تورنجيانز مع الألمانى ليوبولد فون رانكه.)

(١٠)

سـوف يُطرح السـؤال: لماذا؟ يجب بالفـعل أن أتذكـر كل هذه التفـاهات والتفـاصيل التى بلا مـعنى وأحكم عليـها وفق المعـايير العادية؟ يبدو أننى أضر قضيتى وبصفة خاصة إذا كان مقدّراً علىّ أن أتّخذ مهاماً كبرى. فأجيب بأنَّ هذه التفاصيل التافهة ـ الواجبات، الإقامة، المناخ، التجدد، الإفتاء فى مسألة حب الذات ـ هى أكثر أهمية من أى شئ يعتبره الناس جوهريا. فهنا يجب أن نبدأ أن نتعلم أن نتجدد. إنَّ كل ما قيّمه الناس بكل تحمّس ليس حتى حقائق؛ إنه مجرد خيالات، أو بمعنى أكبر(أكاذيب) تنطلق من الغرائز الشريرة للطبائع المرضية والضارة ـ كل المفاهيم(الله)، (النفس)، (الفضيلة)، (التجاوز إلى الما وراء)، (الحياة الخالدة). ومع هذا فإن الناس بحثوا فيها عن عظمة الطبيعة الإنسانية، (ألوهيتها). كل أمور السياسة والنظام الاجتماعى والتربية قد زُيِّفَتْ من قمة الرأس إلى أخمص القدم لأن أكثر الناس ضررا هم الذين نظر إليهم على أنهم أعظم الناس، ولأن الناس قد تعلموا أن يحتقروا(التفاصيل) التى هى أساسيات الحياة. فإذا قارنت نفسى الآن بتلك المخلوقات التى جرى تكريمها على أنها الأولى بين الناس فإن الاختلاف يصبح جليا. إننى لا أعتبر مَنْ يسمون(أوائل) الناس بشرا ـ فهم بالنسبة لى قاذورات البشرية، هم نتاج المرض وغريزة الانتقام: إنهم وحوش عديدة عفنة لا يمكن شفاؤها وهى تنتقم من نفسها فيما يتعلق بالحياة... إننى أحب أن أكون عكسها. إنَّ ميزتى هى أننى حساس جدا إزاء أية علامة على الغرائز الصحيحة. ليس فىَّ أىّ ملمحٍ مرضى؛ حتى فى أشد أوقات مرضى الخطير لم أصبح مريضا أبدا؛ عبثا تبحثون عن

تعصب فى طبيعتى. لا يستطيع مخلوق أن يشير إلى لحظة واحدة فى حياتى أتخذ فيها موقفا متكبرا أو مرضيا. المواقف المرضية لا تمت إلى العظمة؛ إن مَنْ يحتاج إلى المواقف مزيف... حذار من كل مَنْ هو مجرد صورة! لقد جاءتنى الحياة بأشد سهولة عندما اقتضت منى أعظم عمل فنى. إنّ مَنْ قُدِّر له أن يرانى فى الأيام السبعين خلال هذا الخريف عندما قُمتُ ـ دون توقف وبشعور بالمسئولية تجاه الأجيال ـ بكثير من العمل من أرقى طراز ـ عمل لم يقم به إنسان من قبلى أو سوف يقوم به من بعدى ـ لابد أنه لم تُلاحظ أية علامة على التوتر فيه، بل بالعكس: تجدّد ومرح شديدان. ولم يحدث إطلاقا من قبل أنْ أصبحت واجباتى مستساغة أكثر وكذلك لم يحدث إطلاقا من قبل أن أصبح نومى أفضل. وأنا لا أعرف طريقة لتناول المهمات الكبرى خيرا من(اللعب): فعلامة على العظمة فإن اللعب مطلب جوهرى. إنّ أوهن قيد، والمظهر الكئيب والنغمة الصعبة فى الصوت ـ كل هذه الأشياء هى اعتراضات على إنسان، ولكن كم هى مقيدة لعمله!... يجب على الإنسان ألا تكون له أعصاب. حتى(المعاناة) من الوحدة هى اعتراض ـ إن الشئ الوحيد الذى كنت أعانى منه دائما هو(التكثّر)، التنوع اللامتناهى لنفسى. فى السن الرقيق وأنا فى السابعة من عمرى كنت أعرف من قبل أنه ما من حديث إنسانى يمكن أن يصل إلىّ. فهل رأى مخلوق فىّ أنى مغتم لهذا؟ اليوم لا أزال أملك الود نفسه تجاه كل إنسان، بل إننى حتى ممتلئ بالحفاوة بشكل متواضع: فى كل هذا لا يوجد نأمة من الاشمئزاز أو الاحتقار. إنّ مَنْ أحتقره يؤله كونى أحتقره؛ إن مجرد وجودى يُغضب أولئك الذين لهم دم فاسد فى عروقهم. إن صيغتى عن

العظمة فى الإنسان هى واقعة الحب المميت: على الإنسان ألا يرغب فى شئ يتغير سواء فى المستقبل أو فى الماضى أو للأبد. لابد فحسب أن يتحمل الضرورة - لكنه يجب أن(يحبها)...

لماذا أكتب مثل هذه الكتب الرائعة

(١)

إننى شئ وكتاباتى شئ آخر. هنا وقبل أن أتحدث عن الكتب نفسها سوف أعرض لمسألة الفهم وسوء الفهم اللذين استُقبلَتْ بها الكتب. وسوف أفعل هذا ولكن ليس بتطويل تقتضيه الضرورة، فالوقت لم يحن بعد لمثل هذه المسألة. كما أنَّ وقتى بالمثل لم يحن بعد هو الآخر، إن بعض الناس يولدون بعد وفاة والديهم. وفى بعض الأحيان لا يكون هناك استشعار بحاجة إلى مؤسسات ليعيش فيها الناس ويتعلموا على نحو ما أفهم العيش والدراسة، وربما يشهد ذلك اليوم موهبة التخصص لتفسير كتابى «هكذا تكلم زرادشت» ولكن سيكون متناقضا مع نفسى أن أتوقع أى ترحيب بحقيقتى اليوم، فاليوم لا أحد ينصت لى، ولا يعرف كيف يتلقى ما أعرضه، وهذه المسألة ليست مفهومة فقط بل حق أيضا. لا أريد أن أفهم على نحو خاطىء، ولهذا لا يجب أن أخطىء فى فهم نفسى. دعونى أقل ثانية. إننى أستطيع أن أشير بأمثلة قليلة إلى إرادة سيئة فى حياتى. وبالنسبة للإرادة السيئة الأدبية أستطيع أن أذكر مثلا واحدا يدل عليها، ومن جهة أخرى لقد التقيت كثيرا «بغباء» شديد كثيرا. ويبدو لى أن التقاط واحد من كتبى لهو من أحسن المزايا التى يمكن للإنسان أن يسبغها على نفسه حتى لو اقتضى الأمر أن يحرّك قدمه مسبقا إن لم نقل يحرك حذاءه. فى إحدى المناسبات عندما اشتكى د. هنريخ فون شتين بصراحة أنه لم يفهم شيئامن كتابى «هكذا تكلم زرادشت» قلت له: هذا هو بالضبط ما يجب أن يكون. أن يفهم

الإنسان ست جمل فحسب من ذلك الكتاب - أى أن يعيشها - يرفعه إلى مكان بين الخالدين أعلى مما يستطيع الإنسان «الحديث» أن يناله فبغير هذا الشعور بالتنائى كيف يمكن حتى أن يقرأنى «المحدثون» الذين أعرفهم؟! أن انتصارى وزهوى - على العكس تماما من انتصار شوبنهور وزهوه - إننى أقول ليست المسألة أننى أحب أن أقلّل من شأن الفكاهة التى أستمدها كثيرا من البراءة التى بها تتناقض مع كتبى. ومؤخرا، فى الصيف الماضى عندما كنت أحاول من جرّاء ما أشعر به من أدب ثقيل، ثقيل للغاية أن أفقد فقيه الأدب توازنه. وقد أفهمنى أحد أساتذة جامعة برلين برفق أننى يجب أن ألجأ إلى شكل مختلف، فما من أحد يستطيع أن يقرأ ذلك النوع من الأدب. وأخيرا لم تكن ألمانيا - بل سويسرا - هى التى قدمت لى حالتين متطرفتين. كانت هناك مقالة كتبها د. ف. فيدمان عن كتابى «بمعزل عن الخير والشر» نشرتها مجلة «بوند» بعنوان «كتاب نيتشه الخطر» مع عرض عام لكل كتبى بقلم السيد كارل سبيتلر فى مجلة «بوند» أيضا، وهذه نقاط رائعة فى مجرى حياتى. ولا أحدد المحتوى. فمثلا عالج السيد سبيتلر كتابى «هكذا تكلم زرادشت» على أنه «تمارين متقدمة فى الأسلوب» وأعرب عن أمله أننى فيما بعد علىّ أن أحفل بالمحتوى أيضا، وأعرب د. فيدمان عن التقدير الذى شعر به للشجاعة التى أبديتها فى كل جهودى لكى أثير كل المشاعر الرقيقة. وبفضل حيلة بسيطة من القدر فإن كل جملة فى هذين النقدين تبدو - بتناسق لا أملك إزاءه إلا الإعجاب - على أنها حقيقة مقلوبة. فى الحقيقة يبدو أن كل ما على الإنسان أن يفعله هو «تجاوز قيم» وبشكل ملحوظ، فإن الإنسان يدق المسمار على الرأس بالنسبة لى

بدل أن يطرق رأسى بالمسمار. ولهذا فإننى شغوف بأن أصل إلى تفسير. فوق كل شىء فإن الإنسان لا يستطيع أن يستخلص من الأشياء بما فى ذلك الكتب أكثر مما يعرف مسبقا أن الإنسان لا تكون له أذنان إلا بالنسبة للأشياء التى تعطيه إشارة. فلنأخذ مثلا صارخا. لنفرض أن أحد الكتب لا يتحدث إلا عن التجارب القائمة تماما خارج نطاق المعرفة أو حتى الاستثنائية ـ لنفرض أنه «أول» تعبير عن سلسلة جديدة تماما من التجارب. فى هذه الحالة فإن ما يحويه لم يسمع به أحد على الإطلاق، وبسبب انخداع صوتى سيفترض الناس أنه إذا لم يكن هناك مايسمع فلن يوجد شىء يستدعى السماع. هذه على أية حال هى تجربتى الأولى العادية، وتدل إذا أردتم على أصالتها. وأن من يفكر أنه قد فهم شيئا فى كتابى يكون قد فسَّر شيئا فيه وفق صورته وليس هذا بالنادر عكس نفسى؛ «مثإلى» مثلا. ومن لم يفهم شيئا فى كتابى ينكر علىَّ أى اعتبار وأى تقدير على الإطلاق. إن كلمة «الإنسان الأعلى» تشير إلى نمط من الناس مظهرهم هو قطعة من أعظم الخطوط الطيبة، نمط معارض للإنسان «الحديث» معارض للإنسان «الطيب»، معارض للمسيحيين والعدميين الآخرين ـ وهى كلمة فى فم «زرادشت» محطة الأخلاقيات تصبح ذات معنى عميق ـ هذه الكلمة تكاد تكون مفهومة فى كل موضع، وببراءة شديدة على أنها تتطابق مع تلك القيم التى يعد زرادشت بالنسبة لها تكرارا سطحيا ـ لقد اعتبر أنه نمط(مثإلى)، نوع أعلى للإنسان، نصف (قديس) ونصف عبقرى. لقد عرف الآخرون أن الطبع مما يُشَكُّ فيه باعتبارى من أتباع دارون على أساس هذه الكلمة: حتى (عبادة البطل) التى قال بها كارليل

ذلك المخادع غير الواعي والذى بلا إرادة - هى عبارة قيل إننى أدعو إليها بسوء - ويقولون إنهم يتبيّنونها فى أعمالى. فإذا كنت أليفا لبعض من يفضل أن يبحث عن الإنسان الأعلى فى سيزار بورجيا لا فى أوبرا برسيفال فإنه لا يثق بأذنيه. يجب أن تسامحونى على نقصى الشديد بالنسبة للفضول لنقد كتبى وخاصة النقد الصحفى. إن أصدقائى وناشريى يعرفون هذا وهم لا يتحدثون لى عن أشياء مثل هذه وفى حالة واحدة لقد رأيت كل الخطايا التى ارتكبت ضد كتاب واحد وهو كتاب (بمعزل عن الخير والشر)؛ ويمكننى أن أقصّ عليكم حكاية لطيفة عنه. من الممكن لإحدى الصحف البروسية - وهى صحيفة ناشيونال زيتونج - (وأذكرها من أجل القراء الأجانب - من ناحيتى أنا لا أقرأ سوى صحيفة جورنال ديباتس) - هل يجب أن نعد الكتاب - بمحبّة على أنه (علامة على العصر) على أنه مثال أصيل عن حزب جنكر والتى ليس لدى صحيفة(كريوز زيتونج) شجاعة كافية إزاءه؟

(٢)

إنّ هذا ليس حقيقيا إلاّ بالنسبة للألمان: ففى كل مكان آخر لى قراء - كلهم أصحاب عقول استثنائية، إنهم أصحاب طبائع مرّت بالتجربة - الاختبار، تشغل مناصب عالية وسط الواجبات العليا؛ وإنّ لى عبقريات حقيقية وسط قرائى. فى فيينا، فى سنت بطرسبرج، فى استكهولم، فى كوبنهاجن، فى باريس، وفى نيويورك - لقد اكتشفونى فى كل مكان. إلا فى أرض أوروبا المسطحة - ألمانيا... وحتى أقول الحقيقة، إننى أبتهج أكثر من أولئك الذين لم يقرأونى بل حتى الذين

لم يسمعوا اسمى أو لم يسمعوا كلمة الفلسفة. ولكن أينما أتوجه هنا فى التوريه مثلا فإن كل وجه يتألق ويستريح لمرأى. والشئ الذى يطربنى أكثر من أى شئ آخر هو أن نساء السوق لا يسترحن حتى يلتقطن أجمل الأعناب من أجلى. إلى هذه الدرجة يجب على الإنسان أن يكون فيلسوفا.... وليس عبثا أن سكان القطبين يسمون فرنسيّى الشعوب السلافية. وإن سيدة روسية ساحرة لن تخطئ لحظة فى معرفة أصلى. إننى غير ناجح فى أن أكون مزهوا، وخير ما أفعله هو أن أبدو متحيرا. إننى أستطيع أن أفكر بالألمانية وأستطيع أن أشعر بالألمانية - أستطيع أن أفعل معظم الأشياء؛ لكن (ذلك) يفوق قواى. إنّ أستاذى القديم ريتشل اعتاد حتى أن يلاحظ أننى أتصور أبحاثى اللغوية مثل الروائى الباريسى - أى أننى أجعلها مثيرة على نحو عبثى. وفى باريس نفسها يندهش الناس لرهافتى ورقتى على حد تعبير الناقد هيبوليت تين. إننى أشعر أنه حتى فى ذروة أشكال شعر الديثرامب الذى ابتدعه اليونان ومنه نشأت الدراما سوف يتم تلطيفه بذلك الملح الذى لن يصبح إطلاقا مرا، لا يصبح إطلاقا (ألمانيا) - أعنى اللطافة. ولا أستطيع أن أفعل شيئاً آخر. فليساعدنى الرب! آمين - ونحن جميعاً نعرف - وبعضنا يعرف حتى من التجربة - ما هى (الآذان الكبيرة). وهذا يبهج المرأة كثيرا - إنه يبدو لى أنهن يفهمننى أفضل. إننى عكس الحمار على نحو رائع؛ وعلى هذا فإننى وحدى وحش فى تاريخ العالم - فى اليونان، وليس فى اليونان وحدها أنا (المسيخ الدجال).

(٣)

أنا أعرف مزاياى تماما ككاتب. من خلال مثل أو مثلين اتّضح لى

كيف أن القراءة العادية لأعمالى (تفسد) ذوق الإنسان. الكتب الأخرى بكل بساطة لا يمكن تحملها وأقلها جميعا كتب الفلسفة. وهى ميزة لا تبارى عملية الدخول إلى هذا العالم النبيل الدقيق، وحتى يفعل الإنسان هذا عليه بالتأكيد ألا يكون ألمانيا؛ بالاختصار إنها ميزة يجب أن يستحقها الإنسان. وعلى أية حال إنَّ مَنْ هو قريب منى فى عظمة الإرادة سوف يعيش فرط سرور أصيل فى فهم كتبى. إننى أهبط من ذرى لم يحلق فوقها أى طائر. لقد قيل لى إن الإنسان بمجرد أن يشرع فى قراءة كتبى حتى يستحيل عليه أن يتركها ـ إننى أقلق حتى راحة الليل. لا توجد كتب أخرى أكثر مدعاة للكبرياء أو أكثر دقة: أحيانا تكون فى كتبى أعلى نقطة ممكنة للبشر ألا وهى السخرية؛ وحتى يستطيع الإنسان أن يسيطر عليها عليه أن تكون له أرق أصابع وكذلك أجرأ قبضات. إن أى ضعف روحى مسألة مميتة بالنسبة لها ـ حتى أى سوء هضم: على الإنسان ألا تكون له أعصاب، ولكن يجب أن تكون له أمعاء رائعة. ولا يقتصر الأمر المميت على فقر نفس الإنسان ومحدوديتها، بل يمتد الأمر أيضاً وبدرجة أكبر إلى الشجاعة وعدم النظافة والنزعة الانتقامية غير الشريفة السرية؛ إن كلمة واحدة منى كفيلة بقذف كل الغرائز الشريرة فى الوجه. ويوجد من بين معارفى عدد من الناس ذوى الخبرة الذين أتاحوا لى الفرصة لرؤية كل ردود الفعل المختلفة تماما إزاء كتبى. وإن أولئك الذين ليس لهم شأن بمحتويات كتبى والذين يسمون أصدقائى هم (غير شخصيين): إنهم يهنئوننى على ظهور عمل آخر وكذلك على التقدم والذى يظهر الاحتفاء الأكبر فى نغمتهم... أرواح شريرة تماما، (النفوس الجميلة) المزيفة من قمة

الرأس حتى أخمص القدم، وليست لديهم أدنى فكرة كيف يستقبلون كتبى - وبالتإلى، ولهم التماسك الجميل للنفوس الجميلة، يحتقرون عملى باعتباره موضوعا تحت أنظارهم. إن القطيع من بين معارفى، الألمان فحسب، يساعدوننى على أن أفهم أنهم ليسوا دائما من رأيى، وإن كان يحدث أحيانا ... إلخ إلخ . إننى سمعت هذا النوع من الأشياء يقال عن كتابى (هكذا تكلم زرادشت). إن (التخنث) فى البشر كما فى الرجال هو أيضاً حاجز فى وجه كتاباتى: به لن يمكن لأى إنسان أن يدخل هذا اللابرنث للمعرفة التى لا تخاف على الإنسان ألا يضيع نفسه إطلاقا. يجب أن يكون صارما فى عاداته لكى يكون حسن الفكاهة ومرحا بين تلك الحقائق الصعبة والعديدة. وحتى يمكننى أن أصور القارئ الكامل فإننى دائما وحش من الشجاعة والفضول وكذلك الطواعية والدهاء والحصافة - مولود أنا مغامرا ومستكشفا، وفوق كل شئ لا أستطيع أن أجد أفضل من (زرادشت) لأدلّ على من أوجه لهم نفسى أساسا: لهم وحدهم يريد أن يكشف لهم لغزه:

«إليكم أيها المستكشفون والمجربون الجسورون وإلى كل من يركب فى ظل قلوع ماكرة فى بحار مرعبة؛ إليكم يا مَنْ تدورون فى فلك الألغاز والأفول، يا مَنْ نفوسكم ينقلها الفلوت إلى كل هاوية مخيفة:

«لا تعبأوا بأن تشقوا طريقكم فوق خيط بأصابع جبانة؛ وحيث تقدرون على أن (تخمنوا) تكرهون أن (تتجادلوا)».

(٤)

أحب الآن أن أبدى ملاحظات عامة قليلة عن (فن أسلوبى) فى

توصيل حالة، توصيل توتر داخلى للشجن عن طريق العلامات بما فى ذلك إيقاع هذه العلامات ـ هذا هو فن كل أسلوب، ولما كانت كثرة حالاتى الباطنية هائلة فإننى قادر على عدد كبير من الأساليب ـ بالاختصار قادر على الفن الأكثر تنوعا للأسلوب الذى يتاح للإنسان وفق إرادته. إن أى أسلوب يكون (جيداً) إذا ما أوصل حالة باطنية لا تعلو على العلاقات أو على إيقاع العلامات أو على (الحركات والإيماءات) ـ أن كل بلاغة هى مجرد فن الحركات والإيماءات. فى هذا المضمار فإن غريزتى ناجحة. إن الأسلوب الجيد على هذا النحو عبث، مجرد مثالية مثل (الجمال فى ذاته). وهذا يفترض أن هناك آذانا تسمع وأن هناك أناسا قادرين وجديرين بمثل هذا الشجن وأنه لا يوجد نقص فى أولئك الذين يمكن أن يوصل لهم نفسه. وفى الوقت نفسه فإن (بطلى زرادشت) ـ مثلا ـ لا يزال يبحث عن مثل هؤلاء الناس ـ يا للأسى! عليه أن يبحث مدة أطول! إن الإنسان جدير بأن يعرفه. وإلى أن يأتى ذلك الوقت لن يوجد أى إنسان سوف يفهم الفن الذى طرحته فى الكتاب. ولا يوجد إنسان لديه مزيد من الأشكال الفنية الإبداعية الأصلية الجديدة يسعى إلى أن يبددها. ويبقى أن أبرهن على أن مثل هذه الأشياء ممكنة فى اللغة الألمانية؛ فى السابق أنا نفسى كنت متشككا على نحو كبير. قبل عصرى لم يعرف الناس ماذا يمكن أن يفعلوا باللغة الألمانية ـ ماذا يمكن أن يفعلوا باللغة أصلا. إن فن الإيقاع الكبير أو الأسلوب العظيم فى النثر، من أجل التعبير عن الثنايا الهائلة للعواطف والانفعالات الجليلة والواثقة للطبيعة كنت أنا أول من يكتشفه. وقد لجأت إلى نوع من الديثرامب من التأليف الشعرى مثل (الأختام السبعة) فى الجزء الثالث من

(هكذا تكلم زرادشت) حلقت آلاف الأميال فوق كل ما أطلق عليه اسم شعر.

(٥)

إن كون كتبى هى تعبير عن رجل سيكولوجى ليس له نظير ربما يكون أول اكتشاف يقوم به قارئ جيد - أى قارئ أستحقه يقرأنى كما اعتاد فقهاء اللغة الأقدمون الجيدون أن يقرأوا هوراس. وإن كل تلك القضايا التى يتفق عليها كل إنسان - ولا أذكر الفلاسفة ورجال الأخلاق التقليديين وغيرهم من أصحاب العقول الجوفاء المملوءة كرنبا. وهذه القضايا تلوح لى على أنها مجرد فضائح ساذجة: مثل الإيمان بأن (الغيرية) و(الأنانية) متناقضان، عندما لا تكون (الأنا) إلا (أرجوحة ناعمة)، (مثالا)... إن الأفعال ليست أنانية وليست غيرية: كلا المفهومين لغو سيكولوجى. أو القضية القائلة إن (الإنسان يتبع سعادته) أو القضية القائلة إن (اللذة والألم متضادان)... إن الأخلاقيات - سيرك البشرية - قد زيّفت كل شئ سيكولوجيا من البداية حتى النهاية؛ لقد حطّت أخلاقيا من قيمة كل شئ لدرجة اللغو المخيف عندما جعلت الحب (غيريا). على الإنسان أن يكون صارما، على الإنسان أن يقف بثبات وأمان على ساقيه - وإلا فلن يحب على الإطلاق. فى الحقيقة تعرف الفتيات هذا جيدا. إنهن لا يعبأن إطلاقا بالرجال اللا أنانيين الموضوعيين الخُلَّص. هل لى أن أغامر فأقول بهذه المناسبة إننى عرفت النساء؟ هذا جزء من الميراث الديونيسى. من يدرى؟ ربما أكون أول سيكولوجى عن الأنوثة الخالدة. إنهن جميعا مثلى. هذه قصة قديمة؛ فيما عدا بالطبع اللواتى أجهضن من

بينهن، (المتحررات) العاجزات عن الإنجاب لحسن الحظ، إنني لا أريد أن أدع نفسى تتمزق إربا. إن المرأة الكاملة تمزّقك إربا عندما تحبك. إننى أعرف المجنونات المحبّات... يا لهن من مخلوقات خطرة زاحفة! . وفى الوقت نفسه محبوبات!... إن امرأة صغيرة وقد صممت على الانتقام تستطيع أن تقضى على القدر نفسه. إن المرأة أكثر سوءاً من الرجل بشكل لا يوصف وهى أمهر منه أيضاً. الخيرية فى المرأة هى من قبل علامة على (الانحطاط) وكل من تسمونه (النفس الجميلة) أصلها كامن فى بعض الاضطرابات الفسيولوجية. لكننى لن أقول المزيد وإلا لأصبحت ذا طابع طبى. إن الكفاح من أجل الحقوق العادلة هو بالتأكيد علامة على المرض؛ وكل طبيب يعرف هذا. وكلما زادت المرأة أنوثة ناضلت وعضت على النواجز ضد الحقوق بصفة عامة. النظام الطبيعى للأشياء، الحرب الأبدية بين الجنسين يُعْزى إليها ويجعلها فى أعلى مرتبة. هل أنصت الناس لتعريفى للحب؟ إنه الشئ الوحيد الجدير بالفيلسوف. إن طرق الحب هى الحرب؛ أساس الحب الكراهية المميتة بين الجنسين. هل استمعتم إلى جوابى عن سؤال: كيف يمكن شفاء المرأة، كيف يتم (تحريرها)؟ أعطها طفلا! إن المرأة محتاجة إلى الأطفال والرجل هو دائماً ليس إلا وسيلة؛ هكذا تكلم زرادشت. (تحرير المرأة) ـ هذه هى الكراهية الغريزية للنساء المنحطات الصحيحات: المعركة ضد (الرجل) هى دائما ليست سوى وسيلة، ادعاء، حركة تكتيكية.

والنساء فى جهودهن للارتفاع إلى (المرأة المثالية فى ذاتها)، إلى (المرأة السامية)، إلى (المرأة الأنموذج) فإن كل ما يرغبن فى أن يفعلنه هو تخفيض المستوى العام للنساء... وليست هناك وسيلة أكثر

تأكيدا لهذه الغاية عن التعليم الجامعى والسراويل وحقوق التصويت مثل القطيع. وأساسا فإن المتحررات هن الفوضويات فى عالم (الأنثى الخالدة)، السفّاح اللواتى أشد غرائزهن عمقا هو الانتقام، نوع كامل من أشد أنواع (المثالية) سوءاً. وبالمناسبة هو يظهر أيضاً عند الرجال، عند هنريك إبسن الكاتب المسرحى النرويجى مثلا، هذا النوع - النمط القديم للخدم - موضوعها هو تسميم الضمير التقى، العنصر الطبيعى فى الحب الجنسى. وكى لا أترك شكًا بالنسبة لرأيى الذى هو فى هذه المسألة صادق وقاس سوف أقول لكم عبارة أخرى من قانونى الخلقى ضد الرذيلة - بكلمة (الرذيلة) أنا ضد كل نوع من الممارسة غير الطبيعية، وإذا أردتم كلمات أكثر دقة أقول: المثالية. تقول العبارة: (التبشير) بالطهارة هو إثارة شعبية للممارسات غير الطبيعية. إن كل انتقاص للحياة الجنسية وكل تلطيخ لها بمفهوم (غير انتقاء) هو الجريمة الأساسية ضد الحياة - هى الخطيئة الكبرى ضد حياة (الشبح المقدس).

(٦)

من أجل أن تتمكّنوا من استخلاص فكرة ما عن نفسى كسيكولوجى فإننى سوف أستخلص القطعة الفريدة التالية من التحليل النفسى من كتابى (بمعزل عن الخير والشر). إننى قد أقرر أن أمنع أى تأمل بالنسبة للشخص الموصوف فى هذه الفقرة: «إن عبقرية القلب باعتباره القلب الغامض الكبير الذى يمتلكه المرء، الله - الْمُقَوِّى وصائد الفئران للضمير الذى قد ينحدر صوته فى العالم السفلى لكل الناس، الذى لا ينطق بكلمة أو يلقى لمحة والذى قد لا

يكون فيه باعث ما أو لمسة عزاء والذى بالنسبة لكماله يتعلق أنه يعرف كيف يبدو ـ لا كما يبدو بل متنكرا بحيث يتصرف كما لو كان قيْداً إضافيا على أتباعه لكى يزدادوا قربا منه وأن يتبعوه بمودّة أشد وبشمولية أكبر؛ ـ إنّ عبقرية القلب الذى يفرض الصمت والانتباه على كل شئ عالياً ومدوّياً والذى يناعم النفوس الخشنة والذى يجعلهم يبدون اشتياقا جديدا ـ ليكون مرآة حتى يمكن للسموات العميقة أن تنعكس فيهم؛ ـ عبقرية القلب الذى يعلّم اليد الخشنة والمتسرعة أن تتردد وأن تقبض على الأشياء على نحو أرق؛ الذى يستشف الكنز الخفىّ والمنسى ونقطة الخيرية والروحانية الحلوة تحت الثلج الأسود الكثيف والذى هو مُحْسِن لكل ذرة ذهب مدفونة منذ أمد طويل والمسجونة فى الطين والقلب؛ عبقرية القلب الذى بالاتصال به يصبح كل فرد أكثر غنى، ليس منفصلا، أو مندهشا؛ ليس كما لو كانت قد أُقْضِيت عليه عظمة وكما لو كان مضغوطا بالأشياء الخيرة للآخرين؛ بل أكثر غنى فى النفس وأكثر جدة عن ذى قبل، محطما، مقذوفا به، وممتلئا بريح عاصفة أكثر لا يقينيا، وربما أكثر رقة وأكثر هشاشة وأكثر رهافة ولكن ملئ بالآمال التى مع هذا تنقصها الأسماء، ملئ بإرادة جديدة وتيار جديد، ملئ بإرادة سيئة جديدة وتيار مضاد.»

” ميلاد التراجيديا“

(١)

لكى أكون عادلا بالنسة لكتاب «ميلاد التراجيديا» (١٨٧٢) يجب نسيان أشياء معينة. إن أخطاء الكتاب الشديدة كان لها تأثير أكيد وكبير، ويرجع هذا إلى السحر الذى يحتويه. وأنا أقصد بهذه الأخطاء معالجتى لمسألة الفاجنرية كما لو كانت هذه الفاجنرية عَرضَاً مرضيا لنزعة متصاعدة. ولهذا السبب وحده فإنّ هذه الدراسة كانت حادثة فى حياة فاجنر: من ذلك الوقت وصاعداً ارتبطت أعظم الأعمال باسمه. لقد ارتبطت المسألة بأوبرا (بارسيفال) والناس يذكروننى حتى الآن بأن المسئولية هى أساسا مسئوليتى، فالرأى السائد هو أن هذه الحركة ذات قيمة كبرى للثقافة، بل لقد وجدت أن الناس قد أخذوا عنوان الكتاب على أنه (إعادة ميلاد التراجيديا من روح الموسيقى): إنهم لم يكونوا يبحثون إلاّ عن صيغة جديدة لفن فاجنر وأهدافه ـ ومن ثمّ فإنّ الأهمية الأساسية الخفية للكتاب لم ينتبه إليها أحد وقد أغضى الناس الطرف عنها (الهللينية والتشاؤم) قد يكون عنوانا أقل غموضا. إنه كان سيوحى بأن الكتاب يحتوى على المحاولة الأولى لبيان كيف أن اليونانيين قد نجحوا فى تجاوز التشاؤم ـ كيف تغلبوا على التشاؤم... إن التراجيديا هى البرهان الحق الدال على أن اليونانيين لم يكونوا متشائمين. ولقد أخطأ شوبنهور هنا كما هو مخطئ فى كل شئ آخر. فإن نظرنا إلى المسألة نظرة جزئية فإن كتاب (مولد التراجيديا) جاء فى وقت غير ملائم بالمرة. لم يكن أحد يحلم به على

الإطلاق بأنه قد بدأ وسط قعقعة معركة فورث. [illegible] فى
المشكلات فى ليإلى سبتمبر الباردة تحت أسوار متز وأنا أعمل كممرض فى الجيش الذى جُندت فيه؛ وقد يعتقد الواحد منكم فإنه قد كُتب قبل هذا بخمسين عاما. إنه كتاب لا يعبأ بالسياسة، وقد يقولون اليوم إنه (غير ألمانى) وفيه رائحة قوية من هيجل؛ ولا توجد سوى صيغ قليلة مشبعة بنكهة مريرة من الجيف التى يتفرّد بها شوبنهور - فكرة التعارض بين مفهومى الديونيسى والأبوللونى - قد ترجمت إلى ميتافيزيقا؛ والتاريخ نفسه قد جرى تناوله على أنه تطور لهذه الفكرة؛ وفى التراجيديا هذا التعارض ينصهر فى وحدة أرقى؛ ومن هذا المنظور فإنّ الأشياء التى لم يسبق إطلاقا عرضها تتواجه فجأة، والنتيجة أن كُلاً منها يستضئ ويوضح الأشياء الأخرى (الأوبرا والثورة على سبيل المثال)... الشيئان الجديدان المميزان فى الكتاب هما أولا استيعاب الظاهرة الديونيسية بين اليونان - لأول مرة فإنها تقدم تحليلا سيكولوجيا لهذه الظاهرة وقد نُظر إليها على أنها أساس منفرد لكل الفن اليونانى والفكرة الجديدة الثانية تكمن فى النفاذ إلى السقراطية - فقد جرى إدراك سقراط لأول مرة على أنه أداة الانهيار اليونانى باعتباره نمط التفسخ والانحلال. (العقل) ضد الغريزة. العقل بأى حال على أنه قوة خطرة مقوّضة للحياة، والكتاب كله مصوغ بصمت عدائى عميق فيما يتعلق بالمسيحية. إن المسيحية ليست أبوللونية أو ديونيسية، فهى تنكل بكل القيم الجمالية - وهى القيم الوحيدة المعترف بها فى كتاب (ميلاد التراجيديا) وبأعمق معنى هى عدمية على حين أننا فى الرمز الديونيسى نجد أقصى حدود التأكيد التى جرى التوصل إليها. ولم يحدث إلا مرة واحدة أن

الكهنوت المسيحى قد صُوِّر على أنه نوع ضار من الأقزام، على أنهم من سكان تحت الأرض، سكان العالم السفلى.

(٢)

هذا الجُهْد الأول من جانبى كان ملحوظا بشكل لا مثيل له. فلقد كشفت فى أهم تجاربى الصورة الرمزية الوحيدة التى يقدمها التاريخ - ومن ثمّ فقد كنت أول من استوعب الظاهرة العجيبة لما هو ديونيسى. وفى الوقت نفسه تبين أن سقراط كان مُنْحَلاً وبهذا برهنت بشكل لا مثيل له على أن التقاطى السيكولوجى لن يواجه إلا خطرا ضئيلاً على يد أى نوع من الحساسية الخلقية: إن رؤية الأخلاقيات نفسها كعَرَض من أعراض الانحلال هو شئ جديد، حادث فريد من الطراز الأول فى تاريخ الموضة. كم هو رائع مفهومى المزدوج، وقد مكّننى هذا من أن أرتفع على اللغو الأجوف عن التفاؤل والتشاؤم! لقد كنت أول من رأى التعارض الجوهرى: تحلل الغريزة التى تستدير للحياة مع رغبة دفينة للانتقام (المسيحية، فلسفة شوبنهور، وبمعنى ما من المعانى حتى فلسفة أفلاطون - بالاختصار كل المثالية فى أشكالها النمطية) باعتبارها متعارضة مع تأكيد الحياة الأشد تطرفا والمتولدة من الوفرة - القول بالإيجاب المتحرر من التحفظ، تأكيد للمعاناة نفسها، للخطيئة، لكل ما هو معرض للتساؤل وغريب فى الوجود... هذه التلبية الأخيرة الأكثر فرحا وامتلاء وثراء للحياة ليست فحسب ذروة كل بصيرة بل هى أعمقها، هى أكثر الحقائق التى تلقى تأكيدا ودعما شديدا من الحقيقة والعلم. لا يجب أن نهمل شيئا؛ لا يجب أن نضحّى بشئ. هذه العناصر من الوجود التى

يرفضها المسيحيون والعدميون الآخرون تتخذ وثبة أعلى فى بناء القيم الهرمى عن تلك التى تحبذها غريزة التحلل. وحتى يمكن فهم هذا فإنّ الأمر يقتضى شجاعة وبدؤها الأساسى هو التدفق العظيم للمقدرة. فالإنسان لا يستطيع أن يقترب من الحقيقة إلاّ بمقدار ما تسمح به شجاعته ومقدرته أن تسمح له به. إن المعرفة وتأكيد الحقيقة ضروريان للرجل القوى بمثل ما أن الجبن والتقهقر عن الحقيقة (المثالِ) هما ضروريان للضعفاء الذين يستهدفون الضعف... والضعفاء غير أحرار فى (المعرفة)؛ إن التحلل ينبنى على الأكاذيب؛ وهذا نهج من مناهجهم للحفاظ على الذات. إن مَنْ لا يعرف فحسب كلمة ديونيسى بل يفهم (نفسه) فى إطارها أيضا لا يكون فى حاجة إلى أى تفنيد لأفلاطون أو المسيحية أو شوبنهور ـ ذلك أن أنفه تشم (التفكك).

(٣)

فى كتابى (أفول الأوثان) بحثت على نحو نهائى كيف أن هذه المذاهب مكّنتنى من اكتشاف فكرة (التراجيديا) والإدراك الاستنتاجى لسيكولوجية التراجيديا... «تلبية الحياة حتى بالنسبة لأغرب مشكلاتها وأكثرها صعوبة: إرادة الحياة والابتهاج بما لا يستنفد فيها فى التضحية بأعلى أنماطها» ـ هذا هو ما أسميه الديونيسى، هذا هو ما أقصده على أنه جسر موصل إلى سيكولوجية الشاعر التراجيدى. «ليس تخفف الإنسان من الخوف والشفقة وليس تطهير النفس من العاطفة الخطرة بتحرر شديد (هذا هو فهم أرسطو الخاطئ للتطهير).

بل بالأولى ما وراء الشفقة والخوف أن يكون الفرح الدائم

للصيرورة نفسها - هذا الفرح الذى يتضمن أيضاً الفرح بالتدمير»... بهذا المعنى لى الحق أن أعتبر نفسى أول فيلسوف تراجيدى- أى المضاد الشديد المخالف للفيلسوف المتشائم. قبلى لم يكن هناك مثل هذا التحول للظاهرة الديونيسية إلى وشائج فلسفية: كان هناك نقص فى الحكمة التراجيدية: لقد بحثت عبثا عن علامات عنها حتى بين الفلاسفة اليونانيين العظام - أولئك الذين يمتون إلى قرنين قبل سقراط. ولا يزال لدى شك بشأن هيرقليطس الذى أشعر فى حضرته بصفة عامة بأننى أكثر دفئا وأشعر معه براحة أكبر عن أى إنسان آخر. تلبية التدفق وتدمير كل الأشياء هو العنصر الحاسم فى أية فلسفة ديونيسية، تلبية التناقض والنزاع وفكرة الصيرورة مع النبذ الجذرى حتى لمفهوم (الوجود) - هذه الأشياء تضطرنى إلى الاعتراف بذلك الذى كانت لديه أكثر الوشائج مع تفكيرى. إن عقيدة (العود الأبدى) - إلى التكرار المطلق والأبدى الدائرى لكل الأشياء - هذه العقيدة الخاصة بزرادشت قد علّمها أيضا هيرقليطس. على الأقل الرواقيون هم الذين استخدموا كل أفكارهم الرئيسية من هيرقليطس ويظهر عندهم أثر من هذا.

(٤)

هناك أمل كبير يتردد فى (ميلاد التراجيديا) فوق كل شئ، لا يوجد أدنى سبب على الإطلاق يجعلنى أنكر الأمل فى مستقبل ديونيسى للموسيقى. دعونى أتنبأ بما سيحدث بعد قرن؛ دعونى أفترض نجاحا لانقضاضى على ألفى سنة من معارضة الطبيعة، والحط من شأن الإنسانية. هذا الجانب الجديد من تأكيد الحياة الذى

سيأخذ على عاتقة أعظم المهام وهو رفع الإنسانية وكذلك التدمير التام لكل ما هو منحط وطفيلى سيعيد تهيئة (وفرة هائلة من الحياة) على الأرض، ومنه يجب أن تبزغ الدولة الديونيسية مرة أخرى. إننى أتنبأ بعصر جديد للتراجيديا: أعلى فن لتأكيد الحياة، التراجيديا، ستعاد دولتها عندما تكون البشرية واعية ولكن (دون أى شعور بالمعاناة). إن وراءها أصعب الحروب ولكنها أكثرها ضراوة... وقد يضيف عالم النفس أن ما سمعته فى الموسيقى الفاجنرية خلال سنواتى المبكرة لا شأن له عمليا بفاجنر؛ وإننى عندما أصف الموسيقى الديونيسية فإننى بكل بساطة أصف ما سمعته بنفسى - ما أرغمتنى عليه غريزتى لترجمته ونقله فى إطار مناخ جديد أحمله داخلى. والدليل على ذلك بقدر ما يكون الدليل قويا هو مقالتى (فاجنر فى بايرويت). إن فقرة سيكولوجية لها دلالة لا شأن لها إلاّ بى - لا تترددوا فى إحلال اسمى واسم (زرادشت) أينما يرد فى النص اسم فاجنر. إن الصورة الشاملة لفنان شعر الديثرامب هى صورة المؤلف الموجود من قبل لكتاب (هكذا تكلم زرادشت) وقد رُسمت بعمق شديد وليست حتى لمسّ فاجنر الحقيقى. وإنّ فاجنر نفسه لديه دراية بهذا؛ إنه لم يتبين نفسه فى المقالة - وفى الوقت نفسه فإن (فكرة بايرويت) قد تحولت إلى شئ لن يكون لغزا بالنسبة لمن يعرفون كتابى (هكذا تكلم زرادشت) - أى فى ذروة النهار العظيم ساعة السّمت عندما يركز الصفوة من بين المختارين أنفسهم على أعظم المهام قاطبة. من يمكن أن يقص هذا؟ ربما كانت هذه رؤية بعيدة قد أعيش حتى أراها... إن الشجن السارى فى الصفحات الأولى هى التاريخ الكلى الشامل، والنظرة الواردة فى ص ١٠٥ هى

النظرة الفعلية لزرادشت؛ وفاجنر وبايرويت وكل ما له شأن بما هو أمانى هو سحابة ينعكس عليها المستقبل. فإذا تكلّمت بطريقة سيكولوجية فإننى أقول إن كل السّمات الهامة لطبيعتى واردة وهى تمت لفاجنر - عرض معظم القوى النورانية والمصيرية؛ إرادة القوة على نحو لم يملكه أى إنسان والشجاعة الروحية الغامرة وقدرة لامتناهية للتعليم دون إقلال مقابل للقدرة على العمل. إن كل شئ فى المقال نبوئى: البعث الوشيك للروح اليونانية، وضرورة معارضة الاسكندريين الذين يعيدون ربط العقدة المعضلة للثقافة اليونانية بعد أن تم قطعها. إن الإصغاء للنبرة التاريخية - العالمية التى قدمتها على ص ١٨٠ مفهوم (الإحساس بالمأساة): إن المقالة لا تحتوى إلاّ على النبرات التاريخية العالمية. وهذا هو أغرب نوع ممكن من (الموضوعية). إن يقينى المطلق بالنسبة لما أنا (عليه) ينقذف فى أية حقيقة عرضية - الحقيقة عن نفسى قد جرى التعبير عنها من عمق مخيف. وعلى صفحتى ١٧٤، ١٧٥ فإن أسلوب (زرادشت) قد جرى وصفه وجرى التنبؤ به بيقين حاسم ولا يوجد تعبير دال يمكن أن يوجد سوى الوارد فى الصفحات ١٤٤ - ١٤٧ بالنسبة للواقعة التى يوجد (زرادشت) من أجلها التطهير الهائل والتكريس العظيم للبشرية.

«أفكار فى غير أوانها»

(١)

المقالات الأربع التى تشكّل كتاب «أفكار فى غير أوانها» ذات طابع قتإلى فى نغمتها. وهى تبرهن على أننى لست صاحب أحلام يقظة وأننى أستطيع أن أجد فرحا فى سحب السيف وربما أيضا أن لى قبضة قوية. إن أول هجوم (١٨٧٣) كان موجها ضد الثقافة الألمانية، وكان لدىّ حتى فى ذيّاك الوقت احتقار شديد لها. لقد كانت بلا معنى، بلا جوهر، بلا هدف، لقد كانت بكلٰ بساطة (رأيا عاما) ولا يوجد سوء فهم أقوى من افتراض أن نجاح ألمانيا العسكرى العظيم يبرهن على أن كل شئ لصالح الثقافة الألمانية ـ وانتصار هذه الثقافة على الثقافة الفرنسية. والمسألة الثانية من كتاب (أفكار فى غير أوانها) (١٨٧٤) تلقى الضوء على العنصر الخطر المسمم للحياة فى مساعينا العلمية: لقد مرضت الحياة من جرّاء العمل الآلى والآلية المنزوعة من الإنسانية، من جرّاء (عدم وجود شخصية) للعامل، والاقتصاد الزائف (لتقسيم العمل). والنهاية هى الثقافة وقد فقدت البصر: فهنا النشاط العلمي الحديث كوسيلة لإنتاج الهمجية. وفى هذا البحث فإن (الحس التاريخى) الذى يفخر به قرننا قد جرى الاعتراف به لأول مرة على أنه مرض وكعلامة على التحلل. والمسألتان الثالثة والرابعة من هذه (الأفكار) هما علامتان تشيران إلى مفهوم أعلى للثقافة وإعادة تأسيس فكرة الثقافة، وهنا صورتان معروضتان لحب الذات والنظام الذاتى وهما نمطان غير حديثين للاحتقار السائد لكل شئ حولهما ـ (الامبراطورية)، (الثقافة)، (المسيحية)؛

(بيسمارك) و(النجاح) ـ لقد كانت هذه الأمور شوبنهور وفاجنر أو بكلمة واحدة، نيتشه ...

(٢)

من هذه الهجمات الأربع حققت الهجمة الأولى نجاحا فريدا. لقد كانت العاصفة التى أثارتها رائعة. لقد مسّت النقطة المثلومة القابلة للانجراح والطعن لدى أمّة منتصرة ـ لقد قلت إن انتصارها ليس حادثا فى تاريخ الثقافة، بل ربما كان شيئا مختلفا تماما. وجاءت الإجابة من كل النواحى وليس فحسب بالتأكيد من الأصدقاء القدماء لديفيد شتراوس الذى سخرت منه كنمط للثقافة المحافظة الألمانية الراهنة ـ بالاختصار باعتباره مؤلف الكتاب المسمى (الإيمان القديم والجديد). (إن مصطلح «الثقافة المحافظة» قد دخل إلى لغة ألمانيا بعد ظهور كتابى). ولقد شعر هؤلاء الأصدقاء أن فخرهم المحلى قد أهانه للغاية رأيى الكوميدى بالأحرى لمعارضتهم ذات الجوائز، لطائر فردوسهم. وكانت إجاباتهم واضحة وكبيرة على نحو ما قد رغبت. غير أن الإجابات البروسية كانت أكثر مهارة: ففيها المزيد من (الدم الأزرق البروسى) وكان أوقحها الوارد فى صحيفة مدينة ليبزج غير الشهيرة (جرنزبوتن): ولقد وجدت مشقة فى منع أصدقائى الكثيرين فى بازل من اتخاذ إجراء ضدها. ولم يكن هناك إلا نبلاء مسنون قليلون قد آزرونى بشكل مطلق لأسباب مضطربة ومختلطة: ومن بينهم إيفالد أوف جوتنجن الذى أوضح أن هجومى كان هجوما مميتا لشتراوس. كما كان هناك أيضاً الهيجلى العجوز برونو باور الذى اعتبرته من ذلك الوقت من بين قرائى المتنبهين. وفى أخريات

حياته أراد أن ينوّه بى عندما أراد - على سبيل المثال - أن يعطى السيد فون تريتشيك المؤرخ البروسى إشارة متعلقة بما استطاع أن يجمعه بشأن فكرة (الثقافة) التى فقد فون ترتيشيك استبصاره بها. وجاءت أطول ملاحظة وأشدها مدعاة للتفكير بالنسبة لكتاب ومؤلفه فيما كتبه التلميذ القديم للفيلسوف فون بادر وهو الأستاذ فورزبرج. ولقد جعلته المقالات يتنبأ لى بمصير عظيم ألا وهو إحداث أرق ما ونقطة تحول حاسمة فى مشكلة الإلحاد. لقد تبيّن فى شخصى آخر الشراح البارزين المتطرفين. لقد كان الإلحاد هو الذى لفت نظرى لشوبنهور، وما شدّ أكبر انتباه وأثار أكبر مرارة هو التقدير الفريد القوى والشجاع لكتابى على يد كارل هيلبراند المتوسط والعادى وهو آخر الألمان (الإنسانيين) والذى يعرف كيف يستخدم العلم. ولقد ظهرت مقالته فى (أوجبور جرزيتونج) ويمكن قراءتها اليوم بحذر أكبر وبشكل معدل بين مقالاته المختارة. ففيها عرض لكتابى باعتباره حادثة ونقطة تحول وعلى أنه أول علامة على النقطة وأسعد تنبؤ أو إحياء أصيل للشغف الألمانى والهوى الروحى الألمانى. ولقد أبدى هيلبراند كامل احترامه لشكل الكتاب وذوقه وهدفه الكامل فى التفرقة بين الأشخاص والمبادئ. وشخّصه على أنه أكبر كتاب إشكالى أنتجته اللغة حتى الآن - إنه أحسن تمثيل لفن الإشكاليات وهو خطر ولا يستحسن النصح به خاصة بالنسبة للألمان؛ وهو لم يكتف بأن يؤكد - دون تحفظ - بل دعّم ما جرؤت على أن أقوله عن تدهور اللغة فى ألمانيا (اليوم، كتّاب النثر باعتبارهم من أصحاب نزعة الصفاء والنقاء رغم أنهم لا يكادون يستطيعون أن يؤلفوا عبارة)؛ وشاركنى فى احتقارى (لكبار المؤلفين) فى هذه الأمة، وخلُص إلى التعبير عن

الاتهام ضد أفضليات ما يحبه شعب)... والنتائج المترتبة على هذه المقالة عنّي هي ممّا لا يُقَدَّرُ بثمن بالنسبة لي إبّان حياتي: فلم يحدث لأحد أن حاول أن يتدخّل في شئوني منذ ذيّاك الوقت. لقد كان الناس صامتين وعاملني الألمان بحذر بالغ ولعدة سنوات اعتدت على مثل هذه الحرية المطلقة في الحديث على نحو لا يحدث اليوم لأي إنسان في كل أنحاء (الامبراطورية). إن فردوسي قائم في (ظل سيفي). وبالفعل لقد طرحت عمليا أحد مبادئ الروائي الفرنسي ستندال: فهو ينصح الإنسان بأن يجعل دخوله إلى المجتمع من خلال معركة. ولقد أحسنْتُ اختيار عدوّي! أكبر مفكري ألمانيا المتحررين. كأمر واقع كان هذا نوعا جديداً تماما من الفكر الحر وَجَدَ تعبيره في كتابي: وحتى اليوم لا يوجد أغرب وأقل قربى بالنسبة لي عن ذلك النوع الأوربي والأمريكي المعروف باسم (التفكير الحر). هناك بهلوانات في الأفكار الحديثة، وأجد نفسي مختلفا عنها وعن أيٍّ من دعاتها. إنهم يريدون أيضا أن يحسّنوا البشرية وفق موضاتهم، أي وفق صورتهم؛ وضد ما أنا مهيأ له وراغب فيه (بشرط أن يفهموه). قد يشنّون حرباً لاهوادة فيها؛ إنَّ كُلاً منهم لا يزال يعتقد فيما هو (مثالي)... إنني أول (اللاأخلاقيين).

(٣)

لا أحب أن أؤكد أن هناك مقالتين في كتاب (أفكار في غير أوانها) يتناولان الفيلسوف شوبنهور والموسيقي فاجنر يفضيان بصفة خاصة إلى فهمهما أو فهم مشكلاتهما السيكولوجية: وهكذا -

مثلا - فإنّ غريزتى العميقة واليقينية قد دلّت من قبل على العنصر الأساسى فى طبيعة فاجنر باعتباره عبقرية مسرحية. وتُعد رسائله وأهدافه بالنسبة لهذا العنصر النتائج البسيطة والطبيعية. فى الأعماق، أريد لهذه المقالة أن تكون شيئا بعيدا تماما عن مجرد تدريب سيكولوجى، مشكلة فريدة فى التربية، تصور جديد فى الالتزام الذاتى والدفاع عن الذات وقد وصلا إلى نقطة الصلابة، وطريق إلى العظمة وإلى المهمات التاريخية العالمية - هذا النطق المطلوب الكلى. وإذا جاز لى أن أتحدّث بفجاجة فإننى التقطت نمطين شهيرين غامضين من قبل من ناحيتيهما تماما كما يلتقط الإنسان الفرص وذلك ببساطة من أجل التعبير عن نفسى لتكون لدى صيغ أكثر قليلا، رموز، مواجهات لغوية فى متناول يدى. وفى الحقيقة أشير إلى هذا أخيرا بحصافة غير ماكرة إلى صفحة ١٨٣ من دراستى (شوبنهور مُرَبِّياً). لقد استغل أفلاطون أستاذه سقراط بالطريقة نفسها - أى كوسيلة للتعبير عن أفكاره.

ومن بعيد أستطيع أن أتطلع إلى الظروف التى تشهد بها هذه المقالات، ولا أنكر أن هذه المقالات لا تشير فى الأعماق إلاّ إلىّ. إنَّ مقالة (فاجنر فى بايرويت) هى رؤية لمستقبلى الخاص؛ وبالعكس فإن مقالة (شوبنهور مربيا) هى سجل لتاريخى الشخصى وتطورى. غير أنه فوق كل شئ هناك الوعد الذى قطعته على نفسى! إنَّ ما أنا عليه الآن، الوضع الذى أتخذه الآن - وهو ذروة فيها لا أعود أتحدّث بالكلمات بل بالرعود . أوه، كم كنت بعيدا تماما عن كل هذا عندما ألفت الكتاب! لكننى قد رأيت الأرض - إننى لم أخدع نفسى لحظة بالنسبة للطريق والبحر والخطر - (و) النجاح! الهدوء التام لذلك

الوعد، أنا سعيد بمستقبل لا يظل استثناءا لقد عشت كل كلمة بشكل عميق وشخصى؛ ولم تكن تنقصنى الأشياء المؤلمة؛ وهناك كلمات تسرى فيها مع الدم حرفيا. غير أن ريحا للحرية العظيمة تهب خلالها كلها؛ وإن جروحها الخاصة لا تشكل أى اعتراض. وبالنسبة لفكرتى عن الفيلسوف أنه انفجار مرعب يعرّض للخطر كل شئ؛ وبالنسبة لكيفية وصولى لفكرتى عن الفيلسوف بعدة أميال عن الفكرة التى تستطيع أن تعترف حتى بالفيلسوف امانويل كانت، ولا أتكلم عن (التأمّليين) الأكاديميين والأساتذة الآخرين للفلسفة ـ عن كل هذه الأشياء تعطى المقالة معلومات لا تُقَدّر بثمن، وإذا ما خُضْنا فى الأعماق فإن المقالة ليست عن (شوبنهور مربّيا) بل نقيضه (نيتشه مربّيا) والذى يتكلم. وفى ضوء أننى آنذاك كانت حرفتى هى باحث ومدرّس وربما أيضاً أننى (فهمت) حرفتى وهى الصّرامة فى السيكولوجيا الدراسية التى تبدو فجأة فى المقالة ليست بدون مغزى: إنها تعبير عن الشعور بالمسافة، ثقتى العميقة بمهمة حياتى الحقيقية كمعارضة لا مجرّد وسيلة للبهرجة والديكور. إنّ حكمتى كانت عدة أشياء وفى عدة مواضع لكى أكون شيئا واحدا وأحقق نتيجة واحدة. وهكذا خلال فترة واحدة قُدِّر لى أن أكون باحثا ومدرسا.

"إنسانى، إنسانى للغاية"

مع ملحقين

(١)

كتابى (إنسانى، إنسانى للغاية) مع ملحقين له يشكل أزمة. إنه يُسمى كتابا للأرواح (الحرة): تكاد كل جملة فيه أن تعبر عن انتصار - لقد مكننى الكتاب من تطهير نفسى من كل شئ مغترب عن طبيعتى. إن المثالية غريبة علىّ. وعنوان الكتاب يتضمن: «حيث ترون الأشياء المثالية أرى أنا الأشياء الإنسانية، ويا للأسى! إنسانية للغاية!». إننى أعرف الناس على نحو أفضل. إن كلمات (الأرواح الحرة) لا يمكن فهمها إلاّ على أنها تعنى روحا قد أصبحت حرة، قد استعادت تملكها لنفسها. والكتاب يشكل تغيرا كبيرا فى النغمة والنبرة؛ وستعتقدون أنه كتاب ماهر وبارد فى المواضع الصعبة والمليئة بالاحتقار. إن الروحية النبيلة والمشذبة المعنية يبدو أنها مشغولة بصراع مستمر مع سيل من الانفعال. وهذا يعطى بعض الدلالة لواقعة تذهب إلى أن الذكرى المئوية لوفاة فولتير هى التى حقاً وبشكل ما قد قدمت تبريرا لنشر الكتاب مع أوائل ١٨٧٨ ففولتير على عكس كل الذين كتبوا بعده كان أرستقراطيا عقلانيا - وهو مثلى تماما بالضبط. وإن وضع اسم فولتير على إحدى كتاباتى هى خطوة متقدمة حقا نحوى.

فإذا فحصتم الكتاب بمزيد من العناية ستكتشفون روحا قلقة تتعرّف على كل أماكن الاختباء - السرية لما هو مثإلى - مواقفها

الحصينة وآخر ملاجئها. وبالشعلة فى اليد (ونورها ليس نورا مضطربا بأية حال) أضوئ هذا العالم السفلى بشعاع نفاذ، إنها الحب، لكنها حب بدون بارود أو دخان، بدون أية حركة من حركات الحرب، بدون شجن وأعضاء ملتوية – فهذه الأشياء ذاتها لا تزال هى (المثالية). خطأ تلو الآخر قد وُضع فوق الثلج؛ إن المثالى لا يُفَنَّد – بل يتجمّد. وهنا على سبيل المثال (العبقرية) تتجمد؛ وحول المنعطف (القديس) يتجمد؛ وتحت وطأة الكتلة الجليدية يتجمد (البطل)؛ وفى النهاية فإنّ (الإيمان) الذى يسمونه (قناعة) وكذلك (الشفقة) يبردان إلى حد كبير – وطوال الكتاب فإن (الشئ فى ذاته) الذى قال به الفيلسوف الألمانى كانت يتجمد.

(٢)

لقد بدأت الكتاب وأنا وسط أول احتفال فى مدينة بايرويت؛ كان هناك شعور عميق بالغربة مما حولي وكان هذا من أوائل ظروف الكتاب. وإن أيا منكم عنده فكرة عن نوع الرؤى التي كانت حتى في ذلك الوقت تتناثر عبر دربي يمكنه أن يتصور كيف شعرت عندما استيقظت ذات يوم في بايرويت لقد كان الأمر كما لو كنت أحلم أين كنت ؟ لا أستطيع أن أتبين شيئا ،لاأكاد أتبّين فاجنر لقد نقّبت في ذاكرتي - ولكن عبثا. تريبشن جزيرة نائية لما هو مبارك: ما من شيء يشبهها! الأيام التي لا تقارن عندما وضعنا حجر الزاوية، ونحن جماعة متجانسة صغيرة وكانت تحتفل، كانت ممتلئة بأشدّ الحساسيات رقة، وبالنسبة لهذا، مامن تتبع لأثر الذكريات !(ماذا حدث؟) كان فاجنر قد تحول إلى ما هو ألماني! إن الفاجنرية قد

انتصرت على فاجنر !الفن (الألماني) -السيد الألماني !البيرة الألمانية! بالنسبة لنا نحن الذين لانعرف إلا جيدا أي الفنانين هم المرهفون، والمعنى العالمى للذوق الذي يمكن أن يستجيب لفن فاجنر يتزخرف بالفضائل الألمانية، كنت أعتقد أنني أعرف الفاجنرية، لقد عشت ثلاثة أجيال من فاجنر، ومن برندل ذي الذاكرة المباركة الذي مزج فاجنر بهيجل، إلى(مثالي) الصحافة في بايرويت الذين زوّدوا فاجنر بأنفسهم. لقد سمعت كل أنواع الاعترافات عن فاجنر، من (النفوس الجميلة) مملكتي من أجل كلمة عقلانية! مثل هذا الحشد كان كافيا لكى يجعل شعر الرأس يقف! كان هناك تول ويول وكول وعديد من الناس مثلهم وهم نقاد الموسيقى مع مراعاة أن كلمة كول تعنى اللغو. يا لفاجنر المسكين! إلى أى درب أفضى؟ لو كان فقط قد وقع وسط خنازير! لكن بين الألمان! وذات يوم، من أجل تهذيب الأجيال، كان يجب حقا أن يملكوا طابع بايرويت الأصيل، أو على نحو أفضل أن يحتفظوا به فى الروح - فهذا هو بالضبط ما ينفعهم - بمثل هذا النقش المكتوب: «عيّنة من الروح تأسست عليها (الامبراطورية الألمانية»). ولكن كفى! فجأة وسط كل شئ سافرت لعدة أسابيع بالرغم من أن سيدة باريسية ساحرة حاولت مواساتى؛ لقد اعتذرت لفاجنر بكل بساطة ببرقية مميتة. ففى موقع صغير يُسمى كلينجبرون مخفيٍ فى بوهمر فالد حملت كآبتى واحتقارى للألمان كأنه مرض - وبين الحين والحين تحت عنوان عام (شفرة الممرات) كتبت بضع جمل قليلة فى مذكراتى، كل الملاحظات السيكولوجية القوية التى عاودت الظهور فى كتاب (إنسانى، إنسانى للغاية).

(٣)

مثل هذا التغير الفجائى فىَّ لم يكن مجرد نزاع مع فاجنر - فقد كنت أعانى من انحراف عام فى غرائزى، ولم يكن أى اضطراب مفرد سواء كان فاجنر أم أستاذيّتى فى بازل إلا مجرد عَرضٍ مرضى.

وقد انتابنى شئ من نفاد الصبر؛ ولقد رأيت أن الوقت قد حان لقليل من الاستبطان الذاتى. وفى النوم أصبح واضحا لى كم أضعت من وقت من قبل - كيف ضاع وجودى كله بلا طائل كفقيه فى اللغة إزاء مهمة حياتى. لقد خجلت من هذا التواضع الزائف... كانت ورائى عشرة أعوام لم أتلق خلالها إطلاقا أية تغذية روحية، ولم أحصل على أية معرفة قصيرة، بل نسيت عديدا من الأشياء بحثا عن لغو وجفاف البحث العلمى الأكاديمي. أن أحرث من خلال المقاييس اليونانية العتيقة وأنا شبه أعمى - هذا هو ما حصلّته!... لقد رأيت نفسى وقد نحلْت شفقة، لقد هزلت: كانت الحقائق تتناقص من محصولى من المعرفة ولم يعزف الشيطان إلا ما كان (المثاليون) جديرين به! وتولاّنى احتراق إيجابى: حتى ذلك الوقت كانت دراساتى تماما فى مجالات الفسيولوجيا والطب والعلم الطبيعي - بل إننى لم أرجع إلى الدراسة الفعلية للتاريخ إلاّ عندما اضطرتنى لهذا مهمة حياتى. كان حينئذ أيضا أننى أدركت لأول مرة العلاقة بين وظيفة يتم اختيارها ضد غرائز الإنسان - وهى آخر شئ يريده الإنسان - وضرورة استدلال شعور بالفراغ والجوع من خلال وسيط الفن التخديرى - فن فاجنر على سبيل المثال. وبعد مراقبة دقيقة ومتابعة متفحصة اكتشفت أن عددا كبيرا من الشباب يعانى من المشكلة

نفسـها. وممارسة واحدة غير طبيعية تجرّ مباشرة لغيرها. وفى ألمانيا، أو بدقة أشـد فى الامبـراطورية كثيـرون مـحكوم عليـهم أن يخـتاروا وظيفـتـهم مبكرين جـدا ويئنون حـينئذ تحت وطأة حـمل لا مـهرب منه. مثل هؤلاء الناس يحتـاجون إلى فاجنر كمـخدّر - إنهم ينسون أنفسهم، إنهم يهربون من أنفسـهم للحظة. ماذا أقول! - لمدة خمس أو ست ساعات!

(٤)

فى ذياك الوقت كـانت غـريزتى تتـقـرر بشكل إطلاقى ضـد أى استسلام أو سوء فهم لنفسى. إن أى نوع من الحياة، الظروف غير الملائمة بالمرة المرضيـة، الفقر - أى شئ يبدو لى مـلائما على نحو أفضل من تلك (الأنانية) الحقيرة التى وقعت فيها فى البداية بسبب جهلى وشبابى، والتى ظللت فيها فيما بعد بسبب عدم تحرّكى والتى تعـرف باسم (الشـعـور بالواجب). والآن، بشكل مـا لا أسـتطيع أن أعجب بهذا على نحو كاف وفى الوقت المناسب تماما، وكان يؤازرنى ذلك التراث الشرير الذى أستمدّه من الجانب الأبوى - أساسا هو شـرط مـسبق لموت مـبكر. إن المرض منحنى حـريتى تدريجيا. لقد جنّبنى أى نوع من الانقطاع الفـجـائى، جنبنى أى نوع من العنف المتـهـور. وفى ذلك الوقت لم أعـان مـن فـقـدان الإرادة الطيـبـة؛ بل بالعكس اكتـسبت المزيد، كمـا أعطانى المرض الحق فـى أن أعكس عكسا كاملا أى نمط من أنماط حياتى؛ فالمرض لم يسمح فحسب بل أملى علىّ بالفعل أيضاً أن أنسى؛ لقد فرض ضـرورة التعويض عن الكسل والانتظار والصبر ... وكل هذا كان يعنى التفكير ! ... وكانت

حالة عينى كافية لتوقّفى عن التهام الكتب كأننى دودة أو بالصريح التوقف عن فقه اللغة. لقد تم إنقاذى من الكتب؛ وظللت لعدة سنوات لا أقرأ – وهذا أعظم شئ أسبغته علىّ نفسى. تلك النفس الجوهرية التى دفنتها والتى فقدت صورتها تحت ضغط الإرغام على الإنصات للنفوس الأخرى باستمرار (وهذا هو ما تعنيه القراءة!) استيقظت بالتدريج على نحو معتدل وعلى نحو فيه شك لكنها فى النهاية (تكلمت ثانية) ولم يحدث من قبل أن كنت سعيدا بمثل ما كنت إبان أحلك فترات المرض والآن طوال حياتى. ويكفيكم أن تفحصوا كتابى (الفجر) أو ربما كتاب (الهائم وظله) لتتأكدوا أن هذه (العودة للنفس) تعنى: أنها هى نفسها كانت أفضل نوع من الشفاء! ... والشفاء الفيزيائى المحض الآخر كان بكل بساطة نتيجة ذلك الشفاء.

(٥)

(إنسانى، إنسانى للغاية) هذا النسق الذاتى الضخم القوى الذى وضع نهاية حادة لكل ألاعيب التفوق و(المثالية) و(المشاعر الجميلة) وأمثالها من الألاعيب التى استوعبتها وجدت مخرجا لها فى سورنتو، لقد تم التوصل إلى النتائج وتشكلت بشكل نهائى، إبان شقاء فى بازل فى ظل ظروف أقل ملاءمة عن الظروف التى كانت فى سورنتو. وكأمر واقع لقد كان بيتر جاست – وكان آنذاك طالبا فى جامعة بازل ومكرسا نفسه لى – هو المسئول عن الكتاب. فبرأسى المصدّعة الملفوفة فى الأربطة أمْليْتُ بينما كان هو يكتب ويصحّح – وفى الحقيقة هو المؤلف الحقيقى – بينما كنت أنا مجرد المؤلف وعندما أكملت الكتاب أخيرا – لدهشتى – أرسلت ضمن أشياء أخرى

نسختين إلى بايرويت. وبضربة عجيبة من الذكاء الساخر الذى كله صدفة تلقيت فى الوقت ذاته بالضبط نسخة رائعة من نص (بارسيفال) وعليه الكتابة التالية بخط فاجنر «إلى الصديق العزيز فريدريك نيتشه من ريتشارد فاجنر الراعى الكنسى». ومع تقاطع هذين الكتابين بدا كأننى أسمع نغمة رائعة. أليس الأمر يبدو كما لو كان هناك (سيفان) يتقارعان؟ على أية حال لقد شعرنا بالأمر على ذلك النحو؛ فقد ظل كلٌ منّا صامتا. وفى حوالى ذياك الوقت ظهرت الكتيبات الأولى فى بايرويت. وحينئذ فهمت لماذا كان الزمن رائعا بالنسبة لى كما قد فعلت. شئ لا يُصدّق! لقد أصبح فاجنر تقيا ورعا.

(٦)

إنّ ما ظننته فى نفسى فى ذلك الوقت (١٨٧٦) أى التأكيد المخيف الذى افترضته فى مهمة حياتى وما فيه من تاريخ عالمى معروض عرْضا طيبا طوال الكتاب ولكن بنغمة عالية التعبير. ويأتى هذا رغم ما صاحبنى من مكر غريزى تجنبت ثانية الكلمة (أنا). وعلى أية حال فى هذه المرة لم أضوّئ بعظمة تاريخية عالمية لا شوبنهور ولا فاجنر بل أحد أصدقائى الرائعين وهو الدكتور بول رى – ولحسن الحظ إنه مخلوق عظيم لا يمكن أن ينخدع (الآخرون كانوا أقل فى هذا المجال). وبين قرّائى لدى بعض الحالات الميئوس منها؛ وعلى سبيل المثال الأستاذ الألمانى النمطى والذى يمكن إدراكه دائما فى واقعة أن تلك الفقرة المذكورة ترغمه على اعتبار الكتاب كله نوعا من الواقعية المتقدمة. وكأمر واقع، إن الكتاب يفيد خمس قضايا أو

ست قضايا لدى صديقى : وبرهانا على ذلك يمكن لكم أن تقرأوا مقدمة كتابى (شجرة أنساب الأخلاق). والفقرة المشار إليها على هذا النحو : «ما هى إذن النتيجة الرئيسية التى وصل إليها واحد من أجرأ المفكرين وأشدهم رزانة مؤلف كتاب (أصل الإحساسات الخلقية) [على المرء أن يقرأ نيتشه أول اللا أخلاقيين]. وقد وصل إلى النتيجة بتحليله البات والحاسم لأشكال السلوك الإنسانى. يقول: «الإنسان الخلقى ليس أقرب للعالم العقلانى من الإنسان الفيزيائى العادى - لأنه لا يوجد عالم عقلانى».

فإذا ما اكتسبت هذه القضية صلابة وحدة تحت ضربات مطرقة المعرفة التاريخية (اقرأوا: تجاوز تقييم كل القيم) ربما يمكن فى زمن مستقبلى - ١٨٩٠ - أن تفيد باعتبارها الفأس الذى يضرب فى جذر (الاحتياج الميتافيزيقى) للإنسان - ما إذا كانت أكثر بركة من كونها لغة للبشرية، من الذى يمكنه أن يتنبأ؟ - ولكن على أية حال إنها قضية تتضمن أثقل النتائج وهى فى وقت واحد مثمرة ومخيفة، وهى تواجه العالم بالإله اليونانى چانوس ذى الوجهين الذى هو وجه كل المعرفة الكبرى.

«الفجــــر»

أفكار حول الأخلاقيات باعتبارها تعسّفا

(١)

بهذا الكتاب بدأت حملتى ضد الأخلاقيات. ليس الأمر أنّ به أدنى رائحة من البارود بصدده – في الحقيقة سوف تجدون روائح أخرى وأكثر لطافة فيه إذا كانت أنوفكم حساسة. لا توجد مدفعية ثقيلة، ولا مدفعية خفيفة – إذا كان تأثير الكتاب بالسلب؛ فإن مناهجه ليست سلبية – المناهج التى فيها ينبع التأثير مثل محصلة أو نتيجة و(ليس) مثل طلقة مدفع. وربما يترك القارئ الكتاب ولديه شعور بحذر متوسط بالنسبة لكل شئ إزاء كل تقدير بل وحتى العبادة باسم الأخلاق، ولكن لا يتناقض هذا مع أنه لا توجد كلمة سلبية واحدة فى الكتاب كله ما من هجوم، ما من خبث – بل بالأحرى إنه معروض تحت الشمس وهو ناعم وسعيد مثل حيوان بحرى يتوثب بين صخرتين. وفى الواقع كنت ذلك الحيوان البحرى: تكاد كل جملة فى الكتاب وقد جرى إعْمال الفكر فيها، أو بالأحرى (التقاطها) من وسط كتلة الصخور بالقرب من جنوة حيث عشت وحيدا وتبادلت الأسرار مع المحيط. وحتى الآن عندما يحدث وألقى نظرة خلال الكتاب تكاد كل جملة تبدو لى مثل خطاف أجذب به ثانية من الأعماق شيئاً لا يقارن؛ وإن جلده كله يهتز اهتزازات رقيقة من الذكريات. ولا ينقص هذا الكتاب فن ضمان الأشياء التى عادة ما تمضى بسرعة وصمت، وهى اللحظات التى أسميها أشكال الكسل الإلهية – إنه يضمنها لا

بقسوة من نوع قسوة ذلك الإله اليونانى الشاب الذى يطعن - بكل بساطة - السحلية الصغيرة المسكينة؛ ومع هذا لا يزال يستخدم شيئا مُدَبّباً ألا وهو العلم. «لا يزال هناك العديد من لحظات الفجر التى لا يزال عليها أن تنشر ضوءها» - هذا القول المأثور الهندى مكتوب فى قائمة هذا الكتاب فأين سوف يبدأ كاتبه بحثه عن ذلك الصباح الجديد - آه!! سلسلة كاملة من الأيام ، عالم جديد من الأيام الجديدة!! فى (تجاوز تقييم كل القيم) وفى أخلاق التحرر من كل القيم الخلقية وفى القول الإيجابى، فى الثقة بكل ذلك ثم نسيانه من قبل كلية وجرى احتقاره ودفعه. وهذا الكتاب الإيجابى فى أقواله يلقى أضواءه وحبه ورقته على كل الأشياء الشريرة، ويرد إليها ثانية (روحها) وضميرها الحى وحقها السامى وميزة وجودها. إن الأخلاق لا تجرى مهاجمتها، إن كل ما يحدث هو أنها لا تعود موضع الاعتبار. وهذا الكتاب ينتهى بالكلمة (أوج) وهذا هو الكتاب الذى ينتهى على مثل هذا النحو.

(٢)

إن مهمة حياتى هى أن أُعدَّ للإنسانية لحظة للوعى الذاتى الرائع، أوج ظهيرة عظيمة تحدق للوراء وللأمام معا، عندما تبزغ من جبروت ما هو عرضى ومن الكهانة لأول مرة تطرح السبب والموقع فيما يتعلق بالإنسانية ككل. وهذه المهمة للحياة نتيجة ضرورية للرأى القائل إن البشرية (لا) تتبع الطريق الحق لمسارها وأنها لا تحكم حكما إلهيا بل بالأحرى هى واقعة تحت غطاء قيمها المقدسة حيث مارس النزوع إلى السلبية والفساد والتفسّخ عمله كقوة منتهكة. إن السؤال عن أصل القيم الخلقية هو لهذا سؤال له أهمية أولية بالنسبة لى لأنه

يحدد مستقبل البشرية. إنه مطلوب منا أن نعتقد بأنه يوجد فى باطن كل شئ خيْر الأيدى وإن الإنجيل يعطى تأكيدا مجردا بمرشد إلهى وحكمة إلهية تشرق على مصير الإنسان. فإذا ارتددنا إلى الواقع فإننا نجد هذا: الإرادة فى النزاع مع الحقيقة المرعبة التى تتمسك بما هو عكسى والتى هى أن الإنسان قد أصبح فى قبضة (أسوأ) الأيدى وأنه محكوم من جانب غير المناسبين والحمقى ورجال الخداع والانتقام من يسمون (بالقديسين) - أولئك الذين يشوهون العالم والذين يطعنون الإنسانية. وهناك برهان حاسم على القول الذاهب بأن الكاهن (بما فى ذلك الكهنة المتنكرين على شكل فلاسفة) قد أصبح سيدا لا فى إطار جماعة دينية محدودة؛ بل فى كل شئ وأن أخلاق التفسخ وإرادة المدح قد مرّت مثل الأخلاق فى حد ذاتها وهى موجودة فى هذا : إن الغيرية تعد قيمة مطلقة غير أن الأنانية تواجه بالعداوة فى كل مكان. إن من يختلف معى حول هذه النقطة أعتبره مريضا ملوثا. غير أن العالم كله يتفق معى. وبالنسبة للفسيولوجى الذى على هذا النحو فإنّ مثل هذه المعارضة للقيم لا تترك موضعا للشك. فإذا ما أهمل أصغر عضو داخل الجسم ممارسة قواه للمحافظة على الذات ولو بأوهى قدر وأهمل مطالبه المتعاقبة و«أنانيته» فإن الجهاز كله سوف يتحلل. إن الفسيولوجى يصر على أن هذه الأجزاء المتآكلة يجب بترها؛ إنه يرفض كل الشعور بالرفاقية والعطف إزاء مثل هذه الأجزاء، إنه لا يشفق عليها على الإطلاق، لكن ما يريده الكاهن هو بالضبط انحطاط كل البشرية؛ ومن ثم يحتفظ بالعناصر المتآكلة - وهذا هو ثمن حكمة للبشرية كلها. فما هو معنى تلك الأكاذيب، المفاهيم الخادمات للأخلاقيات: (النفس)؛ (الروح)؛ (حرية الإرادة)؛ إذا لم يكن هدفها هو هدف التدمير الفسيولوجى

البشرية؟ متى لا يعود الإنسان جادا إزاء الحفاظ على الذات وزيادة الطاقة الجسمانية للحياة؛ متى تكون النفس مثالا واحتقار الجسم ازدراء على أنه (إفقار للنفس). ماذا يمكن أن يكون كل هذا إن لم يكن تمهيدا للتفسّخ؟ إن فقدان ثقل التوازن والمقارنة المعترفة للغرائز الطبيعية بكلمة (اللا أنانية) - هذا هو ما يسمى الأخلاقيات. ومع كتاب (الفجر) اتخذت أول خطوة في النضال ضد أخلاق نكران الذات.

"العلم المرح"

يعد كتاب (الفجر) كتاباً إيجابيا عميقا لكنه واضح ورائع فى الأسلوب. وهذا يصدق أيضا بأقصى درجة على كتاب (العلم المرح): فتكاد فى كل جملة فيه يقترن العمق بالروح العالية برقة. إنه شعر يعبّر عن عرفانى لشهر يناير العجيب فى تجربتى - والكتاب كله هو هدية من هذا الشهر - وهو يكشف على نحو كاف من أية أعماق تبزغ (الحكمة) لتصبح مرحة:

«لقد أذبتم الجليد من حول قلبى بفرعكم المشتعل؛
وبأثير تسارع بإفراغ نفسه فى بحر الأمل الأقصى؛
إنه أكثر بريقا وأكثر نقاء: أوّاه يا يناير الجميل
إنك تضفى على عجائب إنجازك.

مَنْ ذا الذى لديه أدنى شك عن المقصود (بالأمل الأقصى) هنا إذا ما التقط شعاع جمال كلمات زرادشت الأولى المتألّقة كالجواهر عند نهاية الكتاب الرائع؟ أو مَنْ ذا الذى لديه أدنى شك حيث الصياغة الأولى عن مصير كل العصور؟ إن أغنيات (الأمير حُراً حرية الطير) قد كُتبت فى صقلية وهى تذكر الإنسان بقوة بفكرة (العلم المرح) لهذه الوحدة من الغناء والفارْس والروح الحرة التى تميز تلك الثقافة المبكرة الرائعة فى منطقة بروفنسال من بين كل الثقافات المُلْتَبسة. إن القصيدة الأخيرة هى (إلى الريح الشمالية القوية) وهى رقصة مليئة بالحيوية فيها - إذا أحببتم - نسير على درب الأخلاق بحرية وهى قصيدة كاملة فى طابعها البروفنسالى.

"هـكـذا تـكـلـم زرادشـت"

كتاب للجميع وليس لفرد بعينه

(١)

لقـد حـان الوقت الآن لأحكى لكم تاريخ كـتـابى (هكذا تكـلم زرادشت)... إن التصورّ الرئيسى فيه، أى فكرة (العود الأبدى) هى أعظم صيغة للتأكيد يمكن للإنسان أن ينالها، إنما يرجع إلى أغسطس ١٨٨١ لقد دوّنت مذكرة سريعة عنه على ورقة مع حاشية تقول: «ستة آلاف قدم وراء الإنسان والزمن». فى ذلك اليوم كنت أتمشى عبر الغابات بجانب بحيرة سيلفابلاتا، وتوقفت فى موضع ليس بعيدا عن سورلى بجانب صخرة ضخمة سامقة هرمية. وهنالك طرأت لى الفكرة. فإذا رجعت إلى الوراء شهرين قبل هذا اليوم فإننى أستطيع أن أكتشف علاقة تحذير على شكل توقف فجائى. وعميق فى تذوقى – وخاصة بالنسبة للموسيقى. وربما يمكننى أن أضيف إن كتابى (هكذا تكلم زرادشت) هو بالكامل موسيقى، وأنا متأكد من أن شرطا من شروط كتابته هو أنه ابتعث فىّ فن الاستماع. وفى ريكورا – وهو جبل صغير تتدفق فيه المياه قرب فيسنزا حيث أمضيت ربيع عام ١٨٨١ – اكتشفت – ومعى صديقى المايسترو بيتر جاست (وهو إنسان آخر ولد من جديد أيضا) – أن طائر الفينيق المتعلق بالموسيقى يحوّم فوقنا ويستقر على الأرض على نحو أكثر ائتلافا عن ذى قبل لهذا إذا ما ارتددت من ذلك اليوم إلى المولد الفجائى للكتاب وسط الظروف غير المحتملة فى فبراير ١٨٨٣

– عندما كُتب جزؤه الأخير الذى اقتبست منه بضعة أسطر فى تصويرى وتم إنجازه بالضبط أثناء الساعة الحادة لوفاة ريتشارد فاجنر فى البندقية – فإنه يبدو أن فترة إنجازه استغرقت ١٨ شهرا. وربما توحى هذه الفترة، فترة الثمانية عشر شهرا – على الأقل للبوذيين أننى فى الواقع أنثى فيل على سبيل التمثيل. وفترة التوقف خصصتها لكتاب (العلم المرح) الذى يمتلئ بمئات الإشارات عن تناول ليس له مثيل من قبل، وخاتمته تظهر بداية كتاب (هكذا تكلم زرادشت) حيث أنه يعرض تفكير زرادشت الأساسى فى الفقرة قبل الأخيرة من الكتاب الرابع. وفى فترة التوقف هذه كتبت دراسة (ترنيمة إلى الحياة) (وفيها مزيج من الجوقة والأوركسترا). وقد فسَّر أ.د. فريتش هذه الدراسة فى ليبزج بعد عامين. وربما كانت الإشارة غير هينة الدلالة على حالتى الروحية فى تلك السنة عندما ملأ نفسى بكاملها شجن إيجابى أسميه الشَجن التراجيدى؛ وفى يوم ما سوف يتغنى الناس به احتفالا بذكراى. ولما كان هناك تيار من سوء التفاهم فإننى أحب أن أؤكد القضية القائلة بأن النص ليس من عندى؛ لقد كان هناك إلهام فريد من امرأة روسية شابة هى الآنسة لوفون سالومى وكنت معها آنذاك على علاقة صداقة وطيدة. ومن يريد أن يستنتج معنى ما من المعانى من الكلمات الأخيرة من القصيدة سوف يفهم لماذا فضلتها وأعجبت بالقصيدة: ففى أبياتها عظمة. إن الألم لا يمكن أن يكون اعتراضا على الحياة: «لا يهم إذا لم تكن لديك أية سعادة متبقية لتعطيها لى! فلا يزال لديك أسفك.»

فى هذه الفقرة يمكن أن أقول إن موسيقاى ترقى أيضا إلى العظمة. وفى الشتاء التالى كنت أعيش فى موقع لا يبعد كثيرا عن

جنوة على ذلك الخليج المسالم الرائع فى رياللو والذى يخترق الأرض بين شيافارى وكيب بورتو فينو. لم تكن صحتى على ما يرام؛ وكان الشتاء ممطرا بغزارة؛ وكانت ضوضاء البحر شديدة بحيث تحول دون النوم وهذه الظروف هى العكس تماما من الظروف التى تتيح الراحة؛ ومع هذا وبالرغم من هذه الظروف وكما لو كان فى هذا برهان على نظريتى القائلة إن كل شئ حاسم يقوم نتيجة التعارض والتقابل؛ وفى ذلك الشتاء عينه ووسط هذه الظروف غير الملائمة وُلد كتابى (هكذا تكلم زرادشت). فى الصباح اعتدت أن أبدأ وجهتى جنوبا على الطريق الرائع المفضى إلى زوجلى الذى ينهض وسط غابة من أشجار الصنوبر وتبيح للإنسان أن يطل على البحر. وبعد الظهر وعندما تسمح صحتى كنت أتمشى حول الخليج بأكمله من سانتا مرجريتا إلى ما يجاوز بورتو فينو. وهذه البقعة والريف المحيط بها كانا مشرقين على نحو متعاظم بالنسبة لى لأن هذه البقعة كان يحبها الامبراطور فريدريك الثالث حبا جمّا. وفى خريف ١٨٨٦ تصادف أن توجهت إلى هناك ثانية عندما كنت أعاود زيارة هذا العالم المنسى الصغير من السعادة لآخر مرّة. وعلى هذه الدروب خطر لى كل كتاب (هكذا تكلم زرادشت) وخاصة زرادشت نفسه كنمط – ويمكننى بالأحرى أن أقول إنه لم يخطر لى بل (أحاط بى وغزانى).

(٢)

لكى تفهموا النمط الزرادشتى عليكم أولا أن تكونوا واضحين بالنسبة لحالته الفسيولوجية الأولى وهى حالة اخترت أن أسميها

(الصحة الكبرى). ولا أستطيع أن أجعل هذه الفكرة أكثر وضوحا أو أكثر شخصية عما قد فعلت من قبل فى الفقرة رقم ٣٨٢ من الباب الخامس من كتابى (العلم المرح)؛ والعبارة جاءت على النحو التالى «إننا نعرف أشياء غير خيالية ولا تُسمى وجديدة تسبق مولد مستقبل لم يُبرهن عليه بعد - نحن نحتاج إلى وسائل جديدة نحو هدفنا الجديد؛ إننا نحتاج إلى صحة جديدة، صحة أكثر مرحا وجسارة وأصالة وقوة عما شاهدناه حتى ذلك الوقت. إن مَنْ تتوق نفسه لمعايشة المدى الكلى للقيم والرغبات السابقة لتطوف مبحرة فى هذا البحر المتوسط المثالى؛ وهو انطلاقا من مغامرات تجربته العميقة الخاصة سوف يعرف الشعور الذى يحسّ به الغازى والمكتشف لما هو مثالى؛ - وهو بالمثل يعرف الشعور بأن يكون فنانا وقد يساوى مُشَرّعا وحكيما ودارسا وكاهنا وقسيسا ماهرا قديما؛ - مثل هذا الإنسان يقتضى شيئا باطنيا واحدا ألا وهو (الصحة الكبرى) - وهى صحة ليست مجرد امتلاك ساكن بل هى التى يحصل عليها دائما ويجب عليه أن يحصل عليها لأنه يضحى بها، ويجب أن يضحى بها هكذا ! ولهذا الآن بعد أن سرنا طويلا على الطريق، علينا نحن المغامرين أن نبحث عن المثالى، وحينئذ تتحطم سفننا، ولكننا نقول إننا أكثر صحة مما يعترف به الناس فنحن بصحة خطرة ونستعيد الصحة مرارا - ويبدو الأمر كما لو كانت مشكلتنا هى أن نستعيد الصحة، كما لو كنا رأينا أمامنا الأرض غير المستكشفة ولها حدود لم يرها الإنسان بعد؛ وهذه أرض تمتد إلى ما وراء الأراضى المعروفة الأخرى والأماكن الخفية لما هو مثالى وهو عالم مفرط فى الجمال والغربة والشك والرعب والألوهية دافعا

لأقـصى إثـارة. ولا يوجـد على الأرض شئ يمكن أن يرضـينا ويا للأسى! فكيف بمثل هذه المناظر التى تمتد أمـامنا ومع ضـمـيرنا ووعـينا المـمـتلئين بمثل هـذه الرغـبـة لا نزال قـادرين على أن نقنع (بإنسان اليوم الراهن)؟ هذا سئ بما فيه الكفاية؛ ولكن أكثر من هذا من المحتم ألا نعتبر أقصى أهدافه وآماله إلا جدية ساحرة أو لا نعطيها أى اهتمام. وهناك مثال آخر يحوّم أمام أعيننا وهو مثال خطر عجيب كله إغراء وهو أمل يجب ألا نرغب فى دفعه لأى إنسان لأننا لا نستطيع بمنتهى السهولة أن نقرّ (بحق أى إنسان إزاءه).

إنه مثال لروح تلعب ببراءة (أى دون إرادة انطلاقا من وفرة القوة لديها) مع كل شئ يُسمّى مقدّسا وخيرا وإلهيا ولا يُنتهك؛ وهو روح تكون أعلى المستويات شعبية بالنسبة لها مجرد خطر، مجرد تآكل، مجرد انحطاط، أو على الأقصى مجرد استرخاء وفوضى وتشوّش ونسيان مؤقت للنفس: وهو مثال لإنسان أعلى رائع وممتاز وهو قد يبدو كثيرا غير إنسانى - وعلى سبيل المثال عندما يواجه كل وعى أشكال جدّيته وأشكال رزانته السابقة، ولكن قد تنشأ معه (جدية عظيمة) لأول مرة وتتأكد أول نغمة للتساؤل ويتغير مصير النفس وتتحرك عقارب الساعة وتبدأ المأساة.

(٣)

هل يستطيع أى إنسان فى نهاية هذا القرن التاسع عشر أن تتكون لديه أية فكرة واضحة ومتميزة عما يقصده شعراء حقبة أكثر قوة بالإلهام؟ إذا لم تكن لديه هذه الفكرة فإننى أحب أن أصف له الإلهام. إذا ما ترك الإنسان كل خرافة وراءه فإنه ينبذ بصعوبة تماما

فكرة أن الإنسان هو مجرد تجسيد أو لسان حال أو وسيط لقوة عظمى. إن فكرة الوحى أو الكشف تصف الظرف ببساطة؛ وأنا أقصد أن شيئا عميق التأثير وقلقا على نحو فجائى يصبح مشاهدا ومسموعا دون تحدد أو دقة يمكن وصفها. إن الإنسان ليسمع - والإنسان يبحث؛ إنه يأخذ - والإنسان لا يسأل من الذى يعطى: إن فكره تعرض كبرق وبشكل حتمى ودون تردد - وليس لى أى خيار فى هذا. هناك وجْد أو انجذاب ينفجر نوره المرعب بتيار من الدموع وخلاله يتنوع تقدم الإنسان من تهوّر لا إرادى إلى تباطؤ لا إرادى. هناك الشعور فإن الأمر قد أفلت من يد الإنسان مع وعى متميز شديد بلا تناه، وهناك هزات رعّاشة تسرى فى الإنسان من رأسه إلى قدمه؛ - هناك سعادة عميقة لا تنقطع فيها مشاعر الألم والكآبة عن التأثير، لكنها مطلوبة كتلوين ضرورى فى تدفق النور هذا. هناك غريزة العلاقات الإيقاعية التى تضم عالما كليا من الأشكال: الامتداد، الحاجة إلى إيقاع ممتد هو معيار يقيس قوة الإلهام، هو مقابل الضغط وتوتره. إن كل شئ يحدث دون إرادة كما لو كان الأمر تآكلا فى الحرية فى استقلال بقوة وألوهية. وملاحظ تلقائية الصور والتشبيهات؛ ويفقد الإنسان كل إدراك بما هو خيالى ومشابه؛ كل شئ يظهر كما لو كان وسيلة بسيطة ودقيقة ومباشرة للتعبير. فإذا ما أردت أن تذكر عبارة من عبارات زرادشت فإن الأمر يبدو بالفعل كما لو كانت الأشياء نفسها تبدو كتشبيهات: (هنا تظهر كل الأشياء بالفعل بلطافة فى خطابكم وتتملقكم لأنها تمتطيكم من خلف. وعلى كل تشبيه أنتم تمتطون هنا نحو كل حقيقة. وأمامكم يظهر كل حديث وكل كلمة تشرق بالوجود، وهنا كل وجود يصبح حديثا وهنا كل

صيرورة ستتعلم منكم كيف تتكلم). هذه هى تجربتى (أنا) عن الإلهام. وليس لدى شك أنَّ علىَّ أن أرتد آلاف السنين لأجد شخصا آخر يقول لى: «إنها أيضا تجربتى أنا!»

(٤)

ظللت بضعة أسابيع بعد هذا على فراشى فى جنوة. ثم أعقب هذا ربيع كله إحباط فى روما حيث هربت إليها ومعى حياتى. لم تكن تجربة جميلة؛ فهذه المدينة التى لم أخترها بنفسى والتى هى من بين كل الأماكن ليست الملائمة لمؤلِّف (هكذا تكلم زرادشت) وألقى كلُّ هذا بثقله علىَّ. وحاولت أن أترك روما وأردت أن أتوجه إلى أكويلا وهى على النقيض تماما من روما وتأسست على روح معادية لتلك المدينة تماما، كما أننى سوف أجد مدينة لى يوما ما فى ذكرى رجل معاد للإكليروس، رجل من أعماق قلبى هو الامبراطور فريدريك الثانى. غير أن القدر قال لا: كان علىَّ أن أرجع إلى روما. وأخيرا كان علىَّ أن أقنع بيازابريرينى بعد أن استنفدت قواى بحثا عن حى معاد للتقاليد المسيحية. وأخشى أن يحدث ذات يوم - وحتى أتجنب مثل هذه الروائح السيئة قدر الإمكان - بحثت فى بالازوول كيرينالى إن كان يمكن أن توجد غرفة لفيلسوف. وفى مسكن يعلو بيازا ويطل على روما مع وجود ينابيع فى الأسفل وهى تدوّى فى أذنى تألفت أكثر الأغانى نشدانا للوحدة - (أغنية الليل). فى ذلك الوقت كنت محاصرا دوما بلحن حزن شفيف تدوّى تقفيلة مقطعه بالكلمات: «الموت من خلال الخلود»... وفى الصيف عند عودتى إلى المكان المقدس حيث بدأت أول فكرة لكتابى (هكذا تكلم زرادشت) ولمعت مثل

البرق فى ذهنى تصورت الجزء الثانى. وكانت تكفينى عشرة أيام، ولم أكن أحتاج إلى يوم إضافى للجزء الثانى أو الأول أو الثالث. وفى الشتاء التإلى تحت سماء ينس حيث ملأتنى لأول مرة بنورها اللامع وجدت الجزء الثالث لكتابى من زرادشت، ومن ثم أكملت الكتاب. والتأليف بأكمله كاد يستغرق عاما. كانت هناك زوايا خفية عديدة ومرتفعات فى المنطقة حول ينس قد احتفت بى فى لحظات لا تُنْسى. وهذا الجزء الحاسم وعنوانه (الألواح القديمة والجديدة) تم تأليفه خلال الرائحة العطرة المتصاعدة من المحطة إلى إزا وهى أرض عجيبة مليئة بالأعشاب. وعندما فاضت طاقتى الإبداعية بحرية كان نشاطى العقلى عظيما جدا. لقد حصل الجسم على إلهامه. دعونا نُنَحِّ (النفس) من اعتبارنا. وغالبا ما كانوا يشاهدونى راقصا؛ لقد اعتدت أن أمشى عبر الجبال لمدة سبع أو ثمانى ساعات دون أن تنتابنى نأمة تعب. ولقد نمت نوما عميقا، وضحكت ضحكا كثيرا، ولقد كنت قويا وصبورا على نحو كامل.

(٥)

إذا ما استبعدت فكرة العشرة أيام هذه فإنّ سنوات إنتاج كتابى (هكذا تكلم زرادشت) وما أعقب هذا من سنوات تعاسة لا مثيل لها. لقد كان ثمنا باهظا يدفعه الإنسان ليكون خالدا: عليه أن يموت عدة مرات إبّان حياته. هناك شئ اسمه ثمن العظمة: فكل شئ عظيم سواء كان عملا أم فعلا بمجرد ما يكتمل يتحول فى التوّ ضد مؤلفه. إن كونه مؤلفا يجعله الآن ضعيفا. ولهذا فهو لا يستطيع أن يطيق فعله، ولا يستطيع أن يواجهه. وحتى يُتِمّ الإنسان شيئا عليه ألا يقدر

على أن يريده وهو شئ تنعقد به عقدة المصير الإنسانى - ومواصلة هذا! إنه يكاد أن يسحق الإنسان وهذا كاد أن يسحقنى! إنه ثمن العظمة! وهناك شئ آخر - الصمت البرئ الذى يسود. إن للوحدة جلودا سبعة؛ ولا شئ يستطيع أن ينفذ فيها. أنتم تمشون بين الناس؛ أنتم أيها الأصدقاء الأعزّاء: ولكنها ليست إلا بريّة جديدة تلك التى تواجهونها - إن وجوهكم مشدوهة، أو على أفضل وجه هى مجرد تعبير عن نوع من التمرد. لقد عشت رد الفعل الأخير هذا بدرجات متباينة الشدّة يكاد من كل إنسان يقترب منى؛ يبدو أنه لا يوجد شئ يمرح على نحو أعمق غير استشعار مسافة الإنسان فجأة. إن تلك الطبائع النبيلة نادرة وهى لا تستطيع أن تعيش بدون تبجيل. وهناك شئ ثالث هو الإحساس العبثى بالجيد إزاء الوخزات، نوع من العجز فى حضور كل الأشياء الصغيرة. ويبدو لى أن هذا شرط لا مفرّ منه نتج من إنفاق طاقة دفاعية هى شرط مسبق لكل فعل (إبداعى)، لكل فعل يولد من أعماق وجود الإنسان وصميمه. ومن ثمّ فإنّ القوى الدفاعية الصغيرة كما كانت تتوقف ولم تكن تتلقى مددا متجدّدا من الطاقة. بل إننى أجرؤ فأقترح أن عمليات الإنسان المتعلقة بالتغذية تتعرّض للإعاقة، وأنّ لدى الإنسان ميلا أكبر للعطالة أو الكفّ عن العمل، ومثل هذا الإنسان معرض جدا للإحساس بالبرد والارتياب، وهذا الارتياب هو فى حالات عديدة مجرد اضطراب فى علم أسباب المرض. وفى مثل هذه الحالة أُصْبِحُ واعيا باقتراب قطيع من البقر قبل أن أتمكن من رؤيته بعينى وهذا راجع إلى عودة فىّ لمشاعر متوسطة وأريحية: وهى تبث الدفء فىّ...

(٦)

إنّ هذا العمل فريد تماما. دعونا نستبعد الشعراء من اعتبارى: يمكن القول بأنه لا يوجد شئ جرى إنتاجه بمثل هذه الوفرة من القوة. إن مفهوم (الديونيسى) هنا أصبح (أعلى) فعلا؛ وإذا ما قيست به كل الأفعال الإنسانية الأخرى فإنها تبدو هزيلة ومحدودة. وإنّ جوته أو شكسبير لا يمكن أن يتنفس لحظة فى مثل هذا الجو المرعب من الانفعال والتسامى. وإذا ما قورن دانتى بزرادشت فإنه لن يكون سوى مؤمن وليس إنسانا(يبدع) الحقيقة.(لأول مرة - إن زرادشت روح تحكم العالم، إنه مصير)؛ وإن شعراء الفيدا الهندية هم كهنة وغير ملائمين بالمرة لفك إشكالية زرادشت – وكل هذا ليست له أهمية؛ فهو لا يعطى فكرة عن المسافة والوحدة اللازوردية حيث يستقر هذا العمل. وزرادشت على حق أبدى عندما يقول: «إننى أرسم دوائر حولى وحدودا مقدسة. وليس هناك إلا القليلون جدا الذين يمكن لهم أن يرقوا إلىّ إلى ذرى أكثر لطافة. لقد بنيت لى سلسلة جبلية من الجبال الأكثر قداسة». إن كل روح طيبة أو كل نفس عظيمة لا تستطيع أن تبدع أقوالا من نوع أقوال زرادشت. إنّ سلّم صعوده وهبوطه يمتد إلى ما لا نهاية؛ إنه أبعد من هذا وهو ينشد الأبعد وهو (يمضى) أبعد من أى إنسان آخر. إنه يناقض نفسه فى كل كلمة وهو أعظم النفوس إيجابية. ومع هذا ففيه تنحل كل التناقضات إلى وحدة جديدة. إن ألطف قوى الطبيعة الإنسانية وأحطها، إن أحلى وأرفع وأكثر الأشياء رعبا فيها ينبع من مصدر مع يقين أبدى. قبله لم يعرف أحد ما هو العلو أو العمق؛ ولا يزال الناس لا يعرفون ما هى الحقيقة. لا توجد لحظة واحدة فى هذا

الكشف للحقيقة جرى توقعها أو ألهمها حتى أعظم الناس. قبل (زرادشت) لم تكن هناك حكمة، ولا اختبار للنفس، ولا فن للحديث: الآن فإنّ أكثر الأشياء أُلْفة وعادية ينطق بكلمات لم تسمع من قبل. إنّ العبارة تهتز انفعالا والفصاحة تصبح موسيقى، وومضات البرق تسطع فوق مستقبل لم يحلم به إنسان. وإن أقوى استخدام للأمثال والحكم هو مجرد لعب أطفال إزاء هذه العودة للغة إلى طبيعة التخيل. انظروا كيف يهبط زرادشت من الجبل! انظروا كيف يتكلم بلطف للجميع! أنظروا الرقة التى يعامل بها معارضيه - الكهنة - وكيف أنه يعانى معهم من أنفسهم! هنا فى كل لحظة يجرى تجاوز الإنسان؛ ومفهوم (الإنسان الأعلى) يصبح أعظم حقيقة - وكل ما سُمّى عظيما فى الإنسان يكمن فى الأعماق بعيدا بما لا يمكن قياسه. والطابع العاصف، والقدم الخفيفة، والحضور المطلق للضعْف، وغزارة كل ما هو نمطى بالنسبة لزرادشت لم يجر التفكير فيه من قبل مقترنا بجوهر العظمة، وبالضبط هذه هى الحدود المكانية. وهذه القابلية للأضداد يشعر زرادشت بها على أنها(بذرة كل الأشياء الحية) وعندما تسمعون كيف يحدد نفسه ستكفون عن البحث عن مثيل له.

«النفس التى لها أطول سلم وتستطيع أنْ تهبط إلى أعمق عمق،

«أكثر النفوس إحاطة التى تستطيع أن تنطلق وتحوّم نحو الأبعد فى نفسها؛ أكثر النفوس ضرورة ومن الفرح تقذف بنفسها فى الصدفة؛ -

«النفس فى الوجود والتى تغوص فى الصيرورة؛ النفس الممتلكة التى تسعى للحصول على الرغبة والاشتياق؛ -

« النفس التى تهرب من ذاتها وتستولى على نفسها فى أوسع

دائرة: أحكم النفوس التى بالنسبة لها يتحدث الحمق بشكل عذب:-

«أكثر النفوس المحبة لذاتها، والتى فيها كل الأشياء لها تيارها وتيارها المضاد، لها جزرها ومدّها»

(غير أن هذا هو الماهية نفسها التى تشكل ديونيسوس). إن هناك اعتباراً آخر يُفْضى إلى هذه الفكرة نفسها. إنّ المشكلة السيكولوجية التى يمثلها نمط زرادشت هى على هذا النحو: كيف يستطيع هو، هو الذى يقول لا إلى مدى لم يسبق له مثيل (ويتصرّف) بالنفى بالنسبة لكل شئ قال له الإنسان نعم يظل مضادا لروح تقول لا؟ كيف يمكن له هو الذى يسمع مصير أثقل حمل، والذى مهمة حياته قدر أن يكون مع هذا أخف الأرواح وأكثرها تجاوزا - لأن زرادشت هو راقص؟ كيف يمكن له وهو الذى له أحد بصيرة فى الحقيقة وأكثرها رعْبًا والذى فكرّ فى أكثر (الأفكار التى تدفع للهاوية) مع هذا لا يجد فى هذه الأشياء أى اعتراض على الوجود أو على تردده الأبدى؟ كيف أنه بالعكس يجد الأسباب (لأن يكون نفسه) الإيجاب الأبدى لكل الأشياء «الإيجاب الهائل وغير المحدود؟»... «فى كل هاوية أتحمّل بركة إيجابيتى للحياة»... (غير أن هذا مرة أخرى هو جوهر ديونيسوس).

(٧)

فأية لغة مثل هذه الروح سوف تتحدث عندما تتواصل مع نفسها؟ إنها لغة (شعر الدثيرامب) ذلك النوع من الشعر الذى هو مقدمة لنشوء الدراما. إننى مخترع الديثرامب. أنصتوا إلى الطريقة التى يتحدث بها زرادشت إلى نفسه (قبل شروق الشمس). قبل أن آتى فإنّ مثل هذه الأفراح الزمردية، مثل هذه الرقة الإلهية لم تجد لها أى

صوت. حتى أعمق كآبة لديونيسوس تصبح ديثرامب. وأضرب لكم مثلا (أغنية الليل)، الانتحاب الخالد للإنسان بسبب ما لديه من وفرة في النور والقوة، بسبب طبيعته الشمسية محكوم عليه بألا يحب إطلاقا:

«هذا الليل. الآن كل الينابيع المتفجرة تتحدث بصوت أعلى. ونفسي أيضا هي ينبوع متفجر.

«هذا الليل.. الآن فقط كل أغنيات المحبين تستيقظ. ونفسي أيضا هي أغنية أحد المحبين.

«إنَّ شيئا لا يهدأ وغير قابل للهدوء فيَّ؛ إنه يتوق إلى أن يجد تعبيرا، إن شوقا للحب في داخلي هو نفسه يتحدث بلغة الحب.

«نور أنا: آه، لقد كنت ليلا! لكن وحشتي هي أن أكون مطوقا بالنور!

«آه، لقد كنت مظلما وحالكا! فكيف أمتص ندى النور!

«وأنتم أنفسكم إنني أبارككم، أنتم النجيمات المتألقة والبعيدون عن الديدان بعدا كبيرا! - وسوف أبتهج في هدايا ضيائكم.

«غير أنني أعيش في نوري أنا، وأشرب ثانية في نفسي الشعل التي تنبثق في؛

«إنني لا أعرف سعادة المتلقي؛ ولقد حلمت بأن الاستيلاء لابد أن يكون أكثر بركة من التلقي.

«إن فقري هو الذي بفضله لم تكف يدي إطلاقا عن المنْح، إن حسدي هو أن أرى العيون المنتظرة والليالي المتلألئة بالاشتياق.

«أواه، إنه بؤس كل المانحين! أواه، إنه ظلام الشمس! أواه، التوقْ، التوقْ! أواه، الجوع الشديد في الشبع!

«لقد أخذوا منّى؛ ولكن مع هذا هل مسستُ نفوسهم؟ هناك هوّة بين الإعطاء والتلقى؛ وأصغر هوة يجب فى النهاية إقامة جسر عليها.

«إن هناك جوعا ينبعث من جمالى: إننى يجب أن أجرح أولئك الذين أضوّءهم؛ إننى يجب أن أسرق أولئك الذين أهديهم – ومن هنا أنا جائع للضعف.

«إننى أسحب يدى عندما تكون هناك يد قد امتدّت من قبل؛ وأنا أتردّد مثل الشلاّل الذى يتردّد حتى فى اندفاعه: ومن هنا أنا جائع للضعف.

«مثل هذا الانتقام هو ما تفكر فيه غزارتى: هذا السوء ينبع من وحدتى.

«إن سعادتى فى المنح قد ماتت فى المنح؛ وفضيلتى أصبحت قلقة من ذاتها بسبب وفرتها!

«إنَّ مَنْ يمنح معرّض لخطر فقد خجله؛ وبالنسبة لمن يوزّع يده وقلبه يصبح صلبا فى توزيعه.

«إنَّ عينى لم تعد تفيض بسبب الخجل من المتضرّعين. ويدى أصبحت قاسية بسبب ارتعاش الأيدى الممتلئة.

«متى نضبت دموع عينى وسقط قلبى؟ فى وحشة كل المانحين! أواه، صمت كل المضيئين!

«شموس عديدة تدور فى المكان الصحراوى: لكل ما هو مظلم تتحدث بنورها – ولكنها بالنسبة لى صامتة.

«أواه، هذا هو عداء النور بالنسبة للمشرق: إنه يشق مجراه دون شفقة.

«إنه غير عادل بالنسبة للمتألق فى أعماق قلبه، بارد بالنسبة

للشموس: هكذا يسير كل شئ.

«مثل عاصفة تشق *الشمس* مجراها... تلك هى رحلتها. إنها تتبع إرادتها العنيدة: هذه هى برودتها.

«أواه، إنكم هكذا أيها *الليليون المظلمون* تستمدون دفأكم من المشرقين! إنكم تشربون اللبن والمرطبات من باعثى النور!

«أواه، هناك ثلج من حولى، ويدى تحترق من الثلج! إن هناك عطشا فى داخلى؛ وهو يلهث وراء عطشكم!

«هذا الليل: ياللأسى علىَّ أن أكون نورا! وعطشى لما هو ليل! والوحشة!

«هذا الليل: إنَّ اشتياقى ينفجر داخلى كينبوع – وللحديث إننى مشتاق.

«هذا الليل: إن كل الينابيع المتدفقة تتكلم بصوت أعلى ... ونفسى أيضا ينبوع متدفق.

«هذا الليل: الآن كل أغانى الحب تستيقظ ونفسى هى أيضا أغنية حب»

(٨)

مثل هذا لم يكن أبدا من قبل، ولم يستشعر به أحد أبداً من قبل؛ ولم (يعانه) أحد من قبل. إن مثل هذه المعاناة لا يمكن أن تصدر إلا من الإله ـ ديونيسوس. وإن *الجواب* على مثل *هذا الديثرامب*، عن وحدة الشمس فى *النور*، هو خيط أريان... مَنْ سواى يعرف مَنْ هو أريان! ما من أحد قد وجد مفتاحا لمثل هذه *الألغاز*؛ وإننى أشك ما إذا كان هناك إنسان قد رأى *اللغز* هنا. ذات يوم حدّد زرادشت

بعنف مهمة حياته -- وهكذا أنا أيضا. لا يجب أن يخطئ أحدكم الفهم. إن مهمتى هى قول إيجابى حتى درجة التبرير، حتى درجة التكفير بالنسبة للأشياء الماضية.

«إننى آمشى وسط الناس كشظايا المستقبل ذلك المستقبل الذى أتأمله.

«وإنَّ نزعتى الشعرية وأملى أن أؤلف وأجمع فى وحدة ما هو شظايا وألغاز وفرصة مخيفة.

«وكيف أستطيع أن أطيق أن أكون إنسانا إذا لم يكن الإنسان أيضا مؤلفا وقارئ ألغاز ومكفرا عن الفرصة التى تتاح له!

«التكفير عن الماضى وتحويل كل شئ (كان) إلى (ما أود أن أحوزه) – هذا وحده ما أسميه التفكير.»

وفي صفحة أخرى حدّد بدقة قدْر الإمكان ما يعنيه (الإنسان) بالنسبة له – ليس موضوع الحب ولا موضوع الشفقة. إن زرادشت قد سيطر حتى على كرهه للإنسان. إن الإنسان بالنسبة له هو شئ أقصى، مادة خام، حجر قبيح فى حاجة إلى نحات.

«لم تعد المسألة مسألة إرادة، لم تعد مسألة تقييم، لم تعد مسألة إبداع! أواه، إن مثل هذا الضعف العظيم هو بعيد عنى تماما!

«وكذلك فى الفطنة فقط أشعر بتولّد إرادتى وبهجتى؛ وإذا كانت هناك براءة فى معرفتى فذلك لأنّ هناك إرادة للتولّد والتكثر.

«بعيدا عن الرب والآلهة تغرينى هذه الإرادة؛ ماذا يمكن أن يتبقّى لإبداعه إذا كانت هناك – آلهة.

«ولكن بالنسبة للإنسان يجعلنى هذا إبداعا جديدا، إرادتى الإبداعية المحمومة؛ ومن ثم تفرض المطرقة علىّ الحجر.

«آه، أنتم الناس داخل الحجر ترقد صورة لى، صورة رؤاى! آه، تلك التى ترقد فى أصلب حجر وأقبحه!

«(الآن إن مطرقتى تثور بعنف ضد سجنها). من الحجر تطير الشظايا: فما هى بالنسبة لى؟

«سوف أُكمْل : فقد خطر لى شئ – أكثر الأشياء ضوءاً خطر لى!

«إن جمال الإنسان الأعلى جاءنى كظل. آه، يا إخوتى. ماذا تعنى بالنسبة لى الآلهة!»

هناك ملاحظة أخيرة: إن مهمة حياة ديونيسوس تحت صلابة المطرقة وشرط من شروطها الأولى هى فرح محدّد حتى فى التدمير. إن الأمر يقول: «صلِّبوا أنفسكم!» والقناعة العميقة بأن ـ (كل المخلوقات صلبة) هى العلامة الجوهرية على الطبيعة الديونيسية.

«بمعزل عن الخير والشر»

استهلال لفلسفة المستقبل

(١)

إنَّ عملى فى السنوات التالية يجرى تشخيصه على نحو متميّز بقدر الإمكان. والآن وقد تحقق ذلك الجزء الإيجابى من مهمة حياتى جاء التحول إلى القسم السلبى الذى عليه أن يرفض الجانبين بالكلمة والفعل معا: وهذان الجانبان هما تجاوز كل القيم السابقة؛ والحرب الكبرى - استثارة يوم القرار الحاسم. والآن علىَّ أن أبحث حولى ببطء عن أندادى، أولئك الذين ينطلقون من القوة. ويمكنهم أن يساعدونى فى عمل التدمير. ومنذ ذياك الوقت فإن كل كتاباتى هى نوع من التغذية. فهل أفهم وجهة النظر كأى إنسان؟ فإذا لم يجر (التقاط) شئ فليس علىَّ أنا ملام. (بكل بساطة ليس هناك سمك يمكن اصطياده).

(٢)

فى كل النقاط الجوهرية فإن هذا الكتاب (١٨٨٦) هو نقد (للحداثة) بما فى ذلك العالم الحديث والفن الحديث. بل حتى السياسة الحديثة مع بعض الدلالات بشأن نمط معاكس لا يكون مثل الإنسان الحديث بقدر الإمكان، نمط نبيل كله إيجابية. وبهذا المعنى الأخير فإن الكتاب هو (مدرسة للسادة النبلاء) - والمصطلح هنا يستخدم على نحو حافل أكثر عن ذى قبل بالدلالة الروحية الراديكالية. وحتى يمكن تحمل الفكرة يجب أن يكون الإنسان من الناحية الفيزيقية شجاعا، على الإنسان ألا يتعلم الخوف إطلاقا.

وكل تلك الأشياء التى يفخر بها العصر يجرى استشعارها على أنها تتصارع مع النمط المذكور؛ إنه يجرى النظر إليها فى ضوء العادات السيئة. ومن بين تلك الأشياء المشهورة جدا (الموضوعية) و و(التعاطف مع كل مَنْ يعانى) و(الحسّ التاريخى) مع كل الخضوع للأذواق الأجنبية، وتمرّغها فى التراب أمام (الوقائع الصغيرة) وأخيرا جنون العلم - فإذا أدخلتم فى اعتباركم أن هذا الكتاب هو التالى على كتاب (هكذا تكلم زرادشت) فربما يمكنكم تخمين إلى أى نظام غذائى يدين بوجوده. إن العين التى تضطر بقوة أن ترى الأشياء لعلّى مسافة بعيدة - فإنّ زرادشت هو بالأحرى أكثر بُعْداً فى النظر عن القيصر - مفروض حتى بالعكس للتركيز بحدّة على ما هو قريب من التناول: عصرنا وبيئتنا.

وفى كل الفقرات وخاصة فى شكلها سوف يجد القارئ نفس الرفض (الإرادى) لتلك الغرائز التى تجعل (زرادشت) ممكن. الرهافة فى الشكل وفى الأهداف وفى فن أن تظل صامتا يجرى تأكيدها؛ ويجرى تناول السيكولوجيا بصلابة وقسوة متعمدتين - والكتاب يستهدف أن يتم بدون كلمة طبيعية طيبة واحدة ... وكل هذا إنعاش ومن يمكن أن يتصوّر نوع الاستجمام الذى يتم على نحو ضرورى بمثل هذا الإنفاق للخيرية كما توجد فى (زرادشت)؟ إذا ما تحدثنا من الناحية اللاهوتية - وتنبهوا بشدة أننى نادرا ما أتكلم كلاهوتى - إنه الرب نفسه الذى يلتف فى نهاية يوم عمله على شكل حيّة عند أسفل شجرة المعرفة. وهكذا فإن الرب نفسه يشفى. لقد جعل كل شئ جميلا جدا. إن الشيطان هو بكل بساطة لحظة كسل من الرب فى نهاية اليوم السابع.

«شـجرة أنسـاب الأخـلاق : إشـكاليـة»

المقـالات الثـلاث التى تشكل هذه الشـجـرة هى حسب التـعـبـيـر والهـدف والتكنيك الخـاص، لايمكن توقـعـه هى أعـجب الأشـيـاء التى كُتبت. إن ديونيسـوس كمـا تعـرفـون هو أيضـا إله الظلام. وفى كل حـالة فـإنّ البـداية مـحسـوبة لتـفـضى بالإنسـان بعـيـدا، إنه تـعطش مقصود بارد وعلمى وحتى تهكمى بل هو تحفظ مقصود. وتدريجيا فـإن الجو يصـبح أقل هدوءاً ؛ وتحـدث ومـضـة عـرضـيـة من الضـوء؛ والحقائق غيرت البـهجة المتزايدة تؤكد ظهورها مع صوت مدو غبى من المسافات النائيـة ـ إلى أن أنال إيقاعا قويا فيه يمتد كل شيء مع شدة وكثافة مخيفتين . وفى النهاية ، فى كل حالة وسط هزيم الرعد، الرعد المخيف تتبدّى حقيقة جديدة من خلال السحب الكثيفة. وحقيقة المقالة الأولى هى سيكولوجية المسيحـية: مولد المسـيحـية من روح الاستياء وليس كما هو مُفترض من (الروح الخالص) ـ إنها حركة مضـادة، تجريد عظيم ضد هيمنة القيم النبيلة. وتتناول المقالة الثانية سيكولوجية الضمير ، وهو ليس ـ كما هو السائد ـ باعتباره (صوت الرب فى الإنسـان)؛ إن الضـمـيـر هو غـريزة القسـوة وهى ترتد على ذاتها وهى لاتعود تتجه إلى الخارج؛ والقسوة هنا تنكشف لأول مرة كعنصر من أقدم العناصر والتى لايمكن الاستغناء عنها فى تأسيس الثقافة. والمقالة الثالثة هى ردّ مسألة أصل القوة المرعبة لمثال الزهد، مثـال الكاهن، بالرغم من أن هـذا المثال ضـار وأنه إرادة التدمـيـر والتفسّخ. وأجيب فأقول: إنه قوى لا لأن الرب ينشط وراء الكهنة كما يعتـقـدون، بل (لعدم توفر الأفضل) ومن ثم فإنه المثال الأوحد؛ وهو

ليس له منافس. «إن الإنسان يفضل أن يأمل فى العدم من ألا يأمل على الإطلاق» والمشكلة الرئيسية هى أنه قبل (زرادشت) كان ينقصنا المقابل. لقد فهمتم قصدى. افتتاحيات حاسمة ثلاث تسبق (تجاوز تقييم كل القيم) ـ وهذا الكتاب يحوى السيكولوجيا الأولى الخاصة بالكاهن.

«أفـول الأوثـان»

كيف نتفلسف بمطرقة

(١)

هذا الكتاب الذى تتجاوز صفحاته ١٥٠ صفحة بنغمته الخفيّة والمصيرية مثل الشيطان الذى يضحك. وهو مؤلَّف ترددت عدة أيام حتى أحدده. هو استثناء بين الكتب بشكل تام: فلا يوجد كتاب آخر أكثر منه ثراءً فى مادته وأكثر استقلالاً وأكثر هدما ـ وأكثر فظاعة. فإذا حدث لأى إنسان أن اهتم بتكوين فكرة موجزة عن كيف كان كل شيء منذ زمانى مقلوبا فإنه يحسن أن يبدأ بقراءة هذا الكتاب. إنّ ما يُسمَّى (أوثانا) فى العنوان هو ما كان يُسمّى حتى ذلك الوقت الحقيقة. إن (أفول الأوثان) بالفصيح هو الحقيقة البالية وهى تقترب من نهايتها.

لا توجد أية حقيقة، أية (مثالية) إلاّ وقد مسّها هذا الكتاب. (مسّها! ياله من تعبير لطيف حذر!) ليس مجرد تلك الأوثان الخالدة، بل أيضا تلك الأوثان الأكثر حداثة ـ وبالتالى أكثرها تخريفا: الأفكار الحديثة على سبيل المثال. إن ريحاً قوية تهب بين الأشجار وفى كل مكان تسقط الثمار ـ الحقائق ـ على الأرض. هناك فيض كما لو كان هنا خريف مُفْرط فى إثماره: إنكم ترحلون عبر الحقائق، بل إنكم حتى تسحقوا البعض سحقا شديدا، وهناك الكثير من هذا لكن تلك الأشياء التى تلتقطونها ليست هى المطروحة موضع التساؤل، فلها طابع الحسم. إننى وحدى أمتلك مَحَكّاً لاختبار (الحقيقة) ؛ إننى الحَكَم الوحيد. يبدو الأمر كما لو كان هناك وعْى بأن قد انبثق

داخلى، كما لو كانت (الإرادة) فىَّ قد ألقت ضوءا على الدرب الممتد عبر العصور. الدرْب، هو ذلك الذى سموه الطريق إلى (الحقيقة). إن كل دافع مظلم ـ (أشد الآمال غموضا) ـ إنما يولى وينتهى؛ و(الرجل الطيب) بالضبط هو الأقل وعيا (بالطريق الحق) [1]. وإذا ما تكلمت بجدّية فإنه لا يوجد إنسان قبلى عرف الطريق الحق، الطريق الصاعد: بعد زمانى فحسب يمكن للناس ثانية أن يجدد الآمال، وسهام الحياة، والدروب المفضية للثقافة ـ والتى أنا (حَكَمُها المبتهج). وعلى هذا فإننى أيضا القدر المميت.

(٣)

بمجرد أن أتممت هذا العمل، ودون أن أضيّع يوما واحدا هاجمت المهمة المرعبة الخاصة (بتجاوز التقييم) بشعور فائق بالفخار الذى لايمكن لشيء أن يضاهيه؛ ومن المؤكد فى كل لحظة من خلودى حفرت علامة تلو أخرى على ألواح نحاسية بيقين القدر والمصير: لقد جاء التصدير للكتاب ٣ سبتمبر ١٨٨٨ وعندما أجزته بزغ فى هواء الصباح وحياتى أجمل يوم انكشف لى فى منطقة الانجادين العليا واضحا متألقاً بالألوان وهو يضم التناقضات وكل التدرجات المتوسطة بين الثلج الشمإلى والجنوب. وبسبب تأخير من جراء الفيضانات لم أغادر سلز ماريا حتى يوم ٢٠ سبتمبر حتى أننى كنت فى النهاية الزائر الوحيد فى هذه البقعة العجيبة التى يمكن لعرفانى بالجميل أن يسبغ عليها هبات اسمٍ خالد. وبعد رحلة مليئة بالأحداث منها الإفلات بمعجزة من الموت فى مياه بحيرة كوفو التى فاضت عندما وصلت إليها فى ذروة الليل ـ لقد وصلت إلى التورين بعد ظهر

يوم(*)، والتورين هى الموقع الملائم الوحيد بالنسبة لى، ومن ذيّاك الوقت أصبحت موطنى.

لقد أجّرْتُ نفس المسكن الذى شغلته فى الربيع وهو ٦، ١١١ فياكارلو البرتو مقابل الموقع الذى وُلد فيه فيتوريو إمانويل، و لقد كان الجبل فى الريف ممتدا دون أن أتردد و دون أن أترك نفسى أتراجع لحظة رجعت إلى مؤلفى؛ لم يكن قد تبقى سوى الربع الأخير حتى أكتبه. وفى يوم ٣٠ سبتمبر تحقق الانتصار؛ فى اليوم السابع؛ لقد كان هناك كسل على ضفاف نهر البوُ. وفى ذلك اليوم نفسه كتبت تصدير (أفول الأوثان) وصححت المسودات والتى شكلت بالنسبة لى نوعا من الاستجمام إبان شهر سبتمبر . إننى لم أعشق من قبل مثل هذا الخريف؛ ولم أتخيل إطلاقا أن مثل هذه الأشياء يمكن أن توجد - إن كلود لورين يمتد إلى اللانهاية، وكل يوم هو كمال غير محدود.

(*) الرجل الطيب من خلال الأمل الغامض لاتزال لديه غريزة الطريق الوحيدة.(مقدمة فاوست لجوته)

قضية فاجنر، مشكلة موسيقى

(١)

حتى يكون الإنسان منصفا بالنسبة لهذه المقالة عليه أن يعانى من قدر الموسيقى كما لوكان يعانى من جرح مفتوح ـ من أى شيىء أعانى عندما أعانى من قَدَر الموسيقى؟ إننى أعانى من كون الموسيقى قد حرِمَتْ من طابعها الإيجابى المصور للعالم ـ لقد أصبحت موسيقى متفسّخة ولم تعد فلوت الإله اليونانى ديونيسوس. وعلى أية حال فلْنفرض أن إنسانا يشعر الفرد بأن قضية الموسيقى هى قضيته الشخصية، إنها تعبير عن انفعاله هو؛ فى هذه الحالة سيجد هذه المقالة حفية ورفيقة للغاية. ولكى يكون الإنسان حفيا ومنتشيا وسط مثل هذه الظروف ومع الآخرين لكى يستخرج فكاهة طيبة الطابع من ذات المرء حيث يتم تبرير أية درجة من الصلابة ـ هى الإنسانية نفسها. مَنْ ذلك الذى يستطيع أن يشك فى أننى باعتبارى محاربا عجوزا ـ يمكننى أن أدرّب مدافعى الثقيلة وأوجهها ضد فاجنر؟ ـ وكل شيء حاسم فى هذه المسألة أبقيه لنفسى ـ لقد أحببت فاجنر ـ ولكن فوق كل شيء إن هجوما على شخص غير مجهول أكثر من كونه مخادعا لايستطيع إنسان آخر أن يضفى عليه طابعا إلهيا بسهولة هو جزء مهم من مهام حياتى. أوه، لايزال لدىّ عدد قليل من الأشخاص الآخرين غير المجهولين لأنزع عنهم القناع الخاص بالموسيقى! وبصفة خاصة علىّ أن أوجّه الهجوم ضد الشعب الألمانى الذى هو فى المُثُل الروحية يشب بشكل دائم على نحو أكثر

تراخيا وفقرا فى الغرائز وأكثر (أمانة)؛ وهو شعب ـ بشهية يُحْسد عليها ـ يصر على تغذية الآخرين بالتناقضات ويتجرّع (الإيمان) مع العلم، المحبة والمسيحية مع معاداة إرادة القوة (للوصول إلى الإمبراطورية) مع مثال التواضع ـ كل هذا بدون أدنى علامة من علامات سوء الهضم ! إنهم لا يتخذون موقفا وسط كل هذه التناقضات! يالها من معدة محايدة! ياله من خلو من الذاتية! ياله من شعور بالعدالة فى ذوق الألوان الألمانية تضفى حقوقا متساوية على الجميع ـ وتجد كل شيء على ما يرام ! إن الألمان دون شك مثاليون.

وفى آخر زيارة لى لألمانيا وجدت الذوق الألمانى مشغولا بإضفاء حق متساو على فاجنر وعلى عازف البوق فى ساكنجن؛ وأنانفسى رأيت مدينة ليبزج وهى تحاول أن تكرم واحدا من أكثر الموسيقيين عبقرية ـ (وأنا أستخدم المعنى القديم للكلمة الألمانية بهذا المعنى) وهو مجرد ألمانى فى الامبراطورية، إنه السيد هنريخ شوتز الذى أسس جمعية للموسيقى لابهدف غرس الموسيقى الكنسية والتبشير بها. إن الألمان بلاشك مثاليون.

(٢)

ولكن لا يوجد هنا شيء يمنعنى من أن أكون وقحا وأقول للألمان حقائق غير مبهجة قليلة: ومَنْ هناك يمكن لغيرى أن يفعل هذا ؟ إننى أتحدث عن رخاواتهم فى المسائل التاريخية. ولم يفقد الألمان الرؤية المتسقة للتقدّم الثقافى والقيم الثقافية فحسب؛ كما أنهم ليسوا فقط دمى سياسية (أو كنسية)؛ ولكن هذه الرؤية المتسقة نفسها قد حرّموها على أنفسهم. أولا وقبل كل شيء يجب أن يكون الإنسان

(ألمانيا)، يجب أن يمت إلى (العِرْق)؛ حينئذ فقط يمكنه أن يحدد كل القيم التاريخية ونقل القيم ـ حينئذ وحسب يمكنه أن يؤسسها ... (إننى ألمانى) و إننى أطرح حجة، مبدأ؛ إن الألمان يطرحون (النظام الخلقى فى الكون) وفى التاريخ؛ وهم فى علاقتهم بالامبراطورية الرومانية مثاليون بالنسبة للحرية؛ وفى علاقتهم بالقرن الثامن عشر إنما يستعيدون الأخلاقيات (الآمر الأخلاقى)روّج له الفيلسوف الألمانى كانت. وهناك مثل هذا الشيء الذى يفسّر التاريخ حيث توجد ألمانيا الاستعمارية؛ بل أخشى أن أقول إنّ هناك تاريخا معاديا لكل ما هو رائع ـ هناك أيضا محكمة للتاريخ بالنسبة لها لم يكن فون ترتسكه خجلا من نفسه. ومؤخرا هناك رأى مثإلى، نظرية. وهاكم الأمر : النهضة والإصلاح يجب أن يشكلا الولادة الجمالية والولادة الجديدة الخلقية، مثل هذه العبارات يضيق بها صبرى ، وإننى أشعر برغبة بل أشعر أن من واجبى أن أقول للألمان مرة واحدة ما هو موجود من قبل فى ضميرهم (إن كل جريمة كبرى ضد الثقافة ارتكبت خلال الأربعمائة سنة الماضية تقع على عاتق ضميرهم!)... ودائما لنفس السبب، بسبب جبنهم الأصلى فى مواجهة الواقع، والذى هو أيضا جبن فى مواجهة الحقيقة؛ بسبب الزيف الذى كاد أن يصبح غريزيا فيهم ـ بسبب(مثاليتهم) حرم الألمان أوربا من الثمار، المعنى الكلى من آخر حقبة عظمتها ـ النهضة؛ وكان هذا فى وقت عندما كان هناك نظام أرقى للقيم، عندما كانت القيم نبيلة والتى تقول نعم للحياة والتى تؤكد مستقبلا، قد حققت نصْرا على القيم المقابلة، قيم الانحطاط فى صميم مؤيديها إنثم لم يكتف لوثر ـ ذلك الكاهن الفظيع المميت ـ باسترداد الكنيسة، بل استعاد بشكل أسوأ

ألف مرة المسيحية فى اللحظة نفسها التى كانت فيها منهكة. إنّ المسيحية باعتبارها (رفضا لإرادة الحياة) أصبحت دينا! ولقد كان لوثر كاهنا مستحيلا وعلى أساس (الاستحالية) هذه هاجم الكنيسة، ومن ثمّ استعاد المسيحية. والكاثوليك لديهم ما يبرر احتفالهم تكريما للوثر وعرض تمثيليات احتفالية تكريما له. لوثر و (إعادة الميلاد الأخلاقية)! إلى الشيطان كل علم نفس! لاشك فى ذلك فالألمان مثاليون. وفى مناسبتين منفصلتين بشجاعة مخيفة وسيطرة على النفس واستطاعة وموقف علمى كامل وقيام للعقل تم إحرازه، عرف الألمان كيف يجدون ممرا سريا ثانية إلى (المثال) القديم، التصالحات بين الحقيقة و(المثال)، وفى الأعماق توجد صياغة من أجل حق رفض العلم وبثّ الزيف ثانية. ليبنتز وكانت، هاتان السلسلتان العظيمتان عبر الأمانة العقلية لأوربا ! و أخيرا عندما ظهر على الساحة قرنان من التفسخ ظهرت قوة فائقة لبعقرية وإرادة قويتين بما فيه الكفاية لإدخال أوربا فى وحدة سياسية واقتصادية يمكنها أن تحكم العالم؛ والألمان بحروبهم من أجل الاستقلال سرقوا أوربا من معناها، سرقوا المعنى العجيب لحياة نابليون. وتمشياً مع هذا جلبوا المسئولية على كل شيء نَجَم عن هذا الوضع، كل شيء موجود اليوم ـ السقم والغباء اللذين يعارضان الثقافة، الذهَان الذى يُسمّى القومية والذى تعانى منه أوربا، هذا التقسيم الأبدى لأوربا إلى دويلات صغيرة مصاحبة لسياسات صغيرة؛ لقد سرقوا أوربا نفسها من معناها وذكائها ـ لقد قادوها إلى وادٍ مغلق، فهل هناك سوى مَنْ يعرف طريق الخروج من هذا الوادى المغلق؟ هل هناك إنسان يعرف مهمة مشتركة كبرى لإعادة توحيد شعوب أوربا ؟

(٣)

وفوق كل شيء لماذا لا أنطلق بشكوكى؟ فى حالتى أيضا فإن الألمان سوف يحاولون أن يجعلوا الجبل العظيم لا يولّد إلاّ فأرا. لقد حاولوا أن يتصالحوا معى حتى الوقت الراهن؛ وأنا أشكّ فيما إذا كانت الأشياء سوف تتحسّن فى المستقبل.

أوه، كيف يمكن لى أن أبرهن على نبى زائف هنا! إن قرائى ومستمعيّى الطبيعيين هم من قبْل: الروس والاسكندنافيون والفرنسيون - فهل سيظلون دائما هُمْ هُمْ؟ فى تاريخ المعرفة فإن الألمان لا يمثلهم سوى أسماء مشكوك فيها، إنهم لم ينتجوا سوى متأرجحين (غير واعين) (والأمر ينطبق بالمثل على فيشته وشلنج وشوبنهور وهيجل وشلرماخر وكذلك كانت وليبنتز؛ فهم جميعا ليسوا سوى أتباع لشلرماخر مع العلم بأن كلمة شلرماخر تعنى أيضا صانع الحجاب والنقاب). ولايجب على الألمان أن يكون لهم شرف أن يرتبطوا بأول عقل صريح في تاريخهم العقلى وهو عقل تسود فيه الحقيقة فوق تأرجح متردد لمدة أربعة آلاف سنة. (العقل الألمانى) يشكل بالنسبة لى مناخا سيئا: إننى أتنفّس بصعوبة فى جوار هذه القذارة السيكولوجية التى أصبحت الآن شيئا غريزيا وهى قذارة تفضح فى كل كلمة وكل حركة الألمان. إن الألمان لم يطيقوا على الإطلاق القرن السابع عشر، قرن اختبار الذات القوى كما فعل الفرنسيون ـ وإن لارشوفوكو وديكارت يتبعان صراطا مستقيما على نحو أفضل آلاف المرات عن الأوائل من بين الألمان ـ والألمان ليس لديهم حتى الآن علماء نفس. غير أن علم النفس من الناحية العملية هو معيار تقاس به نظافة وقذارة عرْق من الأجْناس

البشرية... وإذا لم يكن الإنسان نظيفا كيف يمكنه أن يكون عميقا ؟ إن الألمان مثل النساء، لا نستطيع أن نتخيل أعماقهم - فليست لهم أعماق. وهذا ينهى المسألة. بل وحتى هم لا يمكن أن يُسَمَّوا ضحلاء. إن ما يُسمى عميقا فى ألمانيا هو هذه القذارة الغريزية تجاه الإنسان والتى قد تحدثت عنها. إنهم لن يكونوا واضحين (فى المستقبل) بالنسبة لطبيعتهم. ألا يمكن لى أن أقترح أن كلمة ألمانى هى مقابل دولى يدل على هذا الفقر السيكولوجى؟ - فى هذه اللحظة مثلا، يعلن الامبراطور الألمانى أن من واجبه المسيحى أن يحرر العبيد فى إفريقيا ، وبيننا نحن الأوربيين الطيبين يُسمى هذا بكل بساطة (ألمانيا). هل حدث أن أنتج الألمان حتى كتابا واحدا له عمق؟ إنهم ليست لديهم أية فكرة عما يشكل العمق. (لقد عرفت باحثين يعدّون الفليسوف الألمانى كانت عميقا). وفى البلاط الروسى أخشى أن يُعد السيد فون ترتشكه عميقا. وإذا حدث وأثنيت على الروائى الفرنسى ستندال كسيكولوجى عميق فانهم يرغموننى وسط الأساتذة فى الجماعات الألمانية على أن أنطق اسمه حرْفاً حرْفاً حتى يعرفوا اسمه حقا.

(٤)

ولماذا لا أصل إلى النهاية ؟ إننى أحب أن أجعل الأشياء نظيفة جلية. إنّ مما يشكل جزءاً من طموحى هو أن يعدّنى الناس مُحْتَقِرًا للألمان على الأصالة. عندما كنت فى السادسة والعشرين عبّرت عن شكّى فى الطابع الألمانى (انظروا كتابى: «أفكار فى غير أوانها» الجزء الثالث) إن الألمان مستحيلون بالنسبة لى. وعندما أفكر فى

إنسان يكون ضد كل غرائزى فإن النتيجة دائما هى أننى أجد أنه ألمانى. وأول اختبار أجريه على الإنسان هو ما إذا كان لديه شعور بالمسافة داخله؛ ما إذا كان يرى مرتبة وتدرجا ونظاما فى كل مكان بين الإنسان والإنسان؛ ما إذا كان يستطيع أن يُجْرى فروقا؛ فهذا هو ما يكوّن السيد المهذب. وإلاّ فإنه ينتمى إلى أولئك مفتوحى القلب ويا للأسى! أجناس طبيعية طيبة كقصب السكر! غير أنّ الألمان هم قصب سكر ويا للأسى! إنهم ذو طبيعة طيبة! إن الإنسان يحط من شأن نفسه عندما يقترن بالألمان: إن الألمان يضعون أنفسهم على قدم المساواة مع كل إنسان. فإذا توقعت تداخلى مع عدد قليل من الفنانين وخاصة ريتشارد فاجنر فإننى يمكننى أن أقول إننى لم أَمَضِ ساعة مبتهجة واحدة مع الألمان. وإذا قُدِّر لأعمق روح العصور أن تظهر بين الألمان مُنقذا فتأكدوا أنه سيعلن أن نفسه غير جميلة وقد أصبحت أخيرا عظيمة. إننى لا أستطيع أن أطيق هذا العرْف من الشعوب حيث يكون الإنسان فى صحبة سيئة دائما وهم عرْق ليست لديه أى روح إزاء ظلال الفروق بين الأشياء (ويا للأسى إننى ظل من الفروق) وهم عرق ليست لديه (روح) فى قدميه ولايستطيع حتى أن يمشى! فالألمان ليست لهم أقدام على الإطلاق فليست لهم إلاّ مجرّد سيقان. إن الألمان ليست لديهم أدنى فكرة كم هم سوقيون ـ وهذا نفسه ذروة السوقية. ولم يحدث إطلاقا أن شعروابالخجل بكونهم مجرد ألمان، وهم يدلون بدلوهم فى كل شىء ويعتبرون أنفسهم ملائمين لتقرير كل شيء؛ وإننى أخشى أنهم قد قرروا ما يتعلق بى... وحياتى كلها فى جوهرها دليل على ذلك. وعبثا بحثت بينهم عن علامة على اللطافة والرقة تجاهى. إننى لم أجد هذا أبدا

بين الألمان. غريزتى هى أن أكون معتدلا وأريحيا إزاء الجميع ـ ولدىّ الحق فى ألاّ أستنتج دومًا ـ ولكن هذا لايمنعنى من أنْ أُبْقى عينى مفتوحتين. وأنا لا أستثنى أحدا، وحتى أصدقائى جميعا ـ وكل ما آمله هو ألا يسىء هذا إلى سمعتى إزاء البشرية فيما يتعلق بهم. هناك خمسة أو ستة أشياء أعتبرها مؤشرات تشرّفنى، ومع هذا تظل هذه الحقيقة هى أننى لعدة سنوات أكاد أعتبر كل رسالة تلقيتها هى جزء من السخرية. وهناك المزيد من السخرية فى موقف حُسْن النية تجاهى أكثر مما هو موجود فى أى نوع من الكراهية. ولقد أخبرت كل صديق من أصدقائى صراحة أنه لم يفكر إطلاقا فى أن الأمر يستحق أن يُعَنِّى نفسه (لدراسة) أى من كتاباتى: إننى أستطيع أن أخمن من بعض المؤشرات البسيطة أنهم حتى ليسوا على ألفْة بمحتويات هذه الكتب: وفيما يتعلّق بكتاب (هكذا تكلم زرادشت) مَنْ مِنْ أصدقائى أمكنه أن يرى فيه شيئا أكثر من مجرد قطعة يتعذّر غفرانها؟ وإنْ كانت غير ضارة بالمرة، إنها عجرفة؟ لقد انقضت عشر سنوات ولم يشعر أحد بعد بأن من واجبه أن يدافع عن اسمى ضد الصمت العبث حيث يُدْفن اسمى تحته. لقد كان شخص أجنبى، أحد العمداء هو أول مَنْ أظهر شغفا كافيا انطلاقا من الغريزة والشجاعة ليقوم بهذا وقد بدا ساخطا نحو مَنْ يسمون أصدقائى. فى أية جامعة اليوم يمكن أن يحاضروا عن فلسفتى على غرار المحاضرات التى ألقاها الدكتور برانديز فى الأسبوع الماضى فى كوبنهاجن ومن ثمّ برهن مرة أخرى على حقه فى أن يُسمّى عالم نفس؟ أنا نفسى لم أعان من كل هذا إطلاقا؛ إن ما هو (ضرورى) لايثيرنى. إن الحب المميت هو ما يشكل طبيعتى. وعلى أية حال لايمنع هذا من حب

التهكم، حتى السخرية التاريخية العالمية. وعلى هذا قبل تدشين الرعد المدمر (لتجاوز تقييم كل القيم) بحوإلى عامين والذى سيجعل الأرض كلها تنفجر بعثت بكتابى (قضية فاجنر) إلى العالم. كان على الألمان أن يخلّدوا أنفسهم مرة أخرى بألاّ يسيئوا الظن بمهمتى كليةً ـ ولاتزال لديهم فسحة من الوقت. فهل فعلوا هذا؟ على نحو يدعو للإعجاب ، يا أعزّائى الألمان ! كُلِّى يهنئكم...

لماذا أنا مميت

(١)

إننى أعرف مصيرى، ذات يوم سوف يرتبط اسمى بذكرى شىء مرعب - يرتبط بكارثة لم يسبق لها مثيل تماما، يرتبط بأشد تصادم عميق للضمائر بإدانة حاسمة لكل ماسبق الاعتقاد فيه مما هو ضحك. إننى لست رجلا، إننى ديناميت. وبكل هذا ليس فىَّ شىء يوحى بأننى مؤسس ديانة. الأديان هى شغل العامة، وعندما أتصل برجل متدين فإنه يجب علىّ أن أغسل يدىّ. أنا لا أريد «مؤمنين»، أعتقد أننى ممتلىء بالحقد حتى أن أؤمن بنفسى، لم أوجه نفسى للجماهير إطلاقا. وإنَّ لدىّ رعبا مخيفا أن يأتى يوم أصبح فيه «مقدساً». تستطيعون أن تتبيّنوا بسهولة لماذا أنشر هذا الكتاب مسبقا - إنه لكى أمنع الناس من أن يسيئوا فهمى. أنا لا أريد أن أكون قديسا، إننى بالأحرى أحب أن أكون مهرجا، بل ربما أنا مهرج. وبالرغم من هذا - أو ربما بالأحرى وليس بالرغم من هذا «لأنه لا يوجد شىء على الإطلاق أكثر زيفا من القديس». إننى صوت الحقيقة لكن حقيقتى مخيفة: فحتى الآن قد سُمِّيت «الأكاذيب» حقائق «تجاوز تقييم كل القيم» هذه هى صيغتى عن سلوك البشرية من أسمى إقرار ذاتى أصبح فىّ لحما وحقيقة. إن مصيرى يقرر أننى يجب أن أكون أول كائن انسانى وديع، يجب. أن أشعر بنفسى معارضا لزيف العصور. إننى أول من يكتشف الحقيقة باستشعار الزيف كزيف. لقد استشعرت به هكذا. إن عبقريتى تكمن فى أنفى فأنا أتشمم الآفات. إننى أتناقض بمثل مالم يتناقض أحد من قبلى،

ومع هذا فإننى عكس الروح السابقة. إننى مبشر بفرح لم يُسبق فى التاريخ. إننى أتعرّف على مهام عظيمة لم يسبق تصورها. إن الأمل قد أعيدت ولادته معى ومن هنا أنا بالضرورة رجل المصير. فعندما تنشغل الحقيقة بالصراع مع زيف العصور يجب أن نتوقع صدمات وسلسلة من الكوارث وإعادة تنظيم الجبال والوديان كما لم يُحكم بهذا من قبل. إن مفهوم «السياسة» قد ارتفع هكذا متجسدا فى عالم الحرب الروحية. إن كل الأشكال القوية للمجتمع القديم قد تمّ نفخها فى الهواء - لأنّها كلها قائمة على الزيف. سوف تكون هناك حروب لم يوجد مثلها من قبل على الإطلاق فى الأرض. إن السياسة على نطاق كبير سوف تحدد انطلاقاتى.

(٢)

هل تحبون أن تكون هناك صيغة متجسّدة لمثل هذا المصير؟ إنها واردة فى كتابى «هكذا تكلّم زرادشت»:

«إنَّ مَنْ يكون مبدعا فى الخير والشر يجب أن يكون فى البدء مدمرا ويمزق القيم تمزيقا.

«ومن هنا فإن أكبر شر يمتّ إلى أكبر خير: لكن هذا هو الخير الخلاق».

إننى أكبر إنسان مخيف قد وُجد. ولكن هذا لن ينفى الحقيقة وهى أننى سأكون أكثر الناس كرما وأريحية. إننى أعرف فرح «الإفناء» إلى درجة تتناسب مع قدرتى على الإفناء. فى كلا الحالتين إننى أطيع طبيعتى الديونيسية التى لا تستطيع أن تنفى الفعل السالبى فى القول الإيجابى. إننى أول إنسان لا أخلاقى ومن ثمّ فأنا

مدمِّر أساسا.

(٣)

إنَّ أحدا لم يسألنى - كما يجب أن أسأل - ماذا يعني بالدقة اسم زرادشت الذى يتردد على لسانى والذى يتردد على لسان أول لا أخلاقى؛ إن ما يشكل التفرّد التاريخى لهذا الفارسى هو أنه على العكس تماما. ان زرادشت هو أول من رأى فى النزاع بين الخير والشر العجلة الجوهرية الدائرة فى عمل الأشياء. إن تحول الأخلاق إلى ميتافيزيقا، إلى قوة إلى علة أولى، إلى غاية فى ذاتها، هو عمله. وليس الأمر يرجع فقط إلى أنه كانت لديه تجربة أطول وأعظم فى الموضوع عن أى مفكر آخر - إن كل التاريخ هو فى الحقيقة تفنيد تاريخى لنظرية ما يسمى بالنظام الأخلاقى للعالم - إنّ ما هو أكثر أهمية فى زرادشت هو أن زرادشت أكثر صدقا عن أى مفكر آخر. إن تعاليمه هى وحدة تحدّد الحق على أنه أعلى فضيلة - أى عكس جُبْن «المثالى» الذى يهرب لمرأى الحقيقة. إن لدى زرادشت شجاعة أكبر عن كل المفكرين الآخرين مجتمعين. إن قول الحقيقة وإطلاقها مباشرة: هذه هى الفضائل الفارسية. هل تفهمون؟... إن هزيمة الأخلاق نفسها من خلال الحق، هزيمة الأخلاقى لنفسه فى ضده - فىَّ - هذا هو ما يعنيه اسم زرادشت على لسانى.

(٤)

فى الأعماق، هناك نوعان من السلب واردان فى مصطلح اللاأخلاقى. السلْب الأول نمط الإنسان الذى مرّ فى السابق على أنه الأسمى - «الخيِّر، الأريحى، المُحسن»، ومن جهة أخرى أنا أنكر ذلك

النوع من الأخلاق الذى جرى إقراره وساد كأخلاق فى ذاتها - أخلاق التفسخ أو إذا استخدمت مصطلحا أكثر وقاحة، الأخلاق المسيحية. وأنا أوافق على اعتبار السلب الثانى هو الأكثر حسْما. فإذا جاز لنا القول بصفة عامة فإنّ الإفراط فى تقييم الخير والشفقة يبدو لى أنه نتيجة التفسّخ، علامة مرضية على الضعف، فى تعارض مع الحياة الإيجابية المتصاعدة. إن السلْب والإفناء شرطان للموقف الإيجابى. دعونى أتوقف لحظة عند مشكلة سيكولوجية الإنسان الخيِّر. فلكى نقيم أى نمط للإنسان علينا أن نحصى ثمن المحافظة على وجوده، يجب أن نعرف شروط وجوده. إن شرط وجود «الخير» هو الزيف. إذا عبرنا عن هذا بشكل مختلف نقول: عدم الرغبة فى أن نرى الحقيقة كما هى مكوّنة بالفعل، حقيقة ليست دافعة دائما للغرائز الأريحية ومع هذا أقل باعث على السرور مع التطفل المستمر للأيدى المهملة الخيرة. إنّ اعتبار الخطر من كل الأنوا ع على أنه اعتراض، على أنه شىء يجب تدميره هو بلاهة شديدة، إذا تكلمنا بصفة عامة، إنه شىء خطر بالفعل فى نتائجه، غباء مميت - جنون مثل الرغبة فى إلغاء الهواء الفاسد، ربما انطلاقا من الشفقة على الفقراء. فى الاقتصاد الكبير فى العالم نجد أن اشكال الرعب من الحقيقة فى الانفعالات، فى الرغبات، فى إرادة القوة، هى جوهرية بشكل لايمكن إحصاؤه على نحو أكثر من ذلك الشكل للسعادة المتوسطة التى تسمى «*الخيرية*»، إنه غباء مطلق أن نمنح *للخيرية* أى وضع على الإطلاق لأنها مرتبطة بتزييف الغرائز. سوف تكون لدى فرصة طيبة لأظهر لكم النتائج الشجية للتاريخ، للتفاؤل، هذا النسل المشوه للإنسان المتفائل. إن زرادشت هو أول من رأى أن المتفائل متفسّخ

شـأنه فى هذا شـأن المتشـائم تماما، بل ربما أكثر ضـررا. وزرادشت يقول:

«إن الأخيار لايتحدثون إطلاقا عن الحقيقة. إن الشواطىء الزائفة والموانى الزائفة هى مـا يعلمـهـا لكم الأخيـار. وفى أكـاذيب الأخيـار تولدون وتجـرى تربيـتكم. من خـلال الخـيـر يصـبح كل شـىء زائفـا ومعطوبا من الجذور، ولحسن الحظّ فإن العالـم لا يُبنى فـحسب على تلك الغرائز حـيث يحب العـالم الحـيوانى القطيـعى الطبيـعى الخيّر سـعادته التافـهة. إن الرغبـة فى أن يصـبح كل إنسـان «رجلا خـيرا»، حيوانا كريما، إنسانا أزرق العينين، أريحيا، «نفسا جميلة» أو - كما أراد المفكر الانجليزى هربرت سبنسر - خيراً يعنى سرقة الوجود من أعظم طـابع له وإخـصـاء للبـشـرية وردها إلـى المغـوليـة. «ولقـد جـرت محاولة هذا وهذا مـا يسميه الناس الأخلاقيات». بهذا المعنى يسمى زرادشت «الخيّر» الآن «آخر الرجال». ومرة أخرى إن هذا هو «بداية النهاية»، وفوق كل شىء يعدها «أشـد نوع خطر من أنوا ع الإنسـان» لأنهم يضمنون وجودهم على حساب الحقيقة وعلى حساب المستقبل.

«الخير - إنهم لا يستطيعون أن يخلقوا، إنهم دائما بداية النهاية.

«إنهم يصلبون من يكتبون قيمـا جديدة علـى ألواح جديدة، إنهم يضـحون بالمستقبل (لأنفسهم)، إنهم يصلبون مستقبل البشرية كلها!

«الخير - إنهم دائما بداية النهاية».

«ومهما يكن الضرر الذى يفعله مشوّهو العالم، (فإن ضـرر الخير هو أكبر كوارث الضرر كله)».

(٥)

إن زرادشت هو أول عـالم سـيكولوجـى عن الإنسـان الطيب، وهو بالتالى صـديق للإنسـان الشرير. وعندمـا يصل رجل مُنْحلّ إلى أعلى مرتبة فإنه لايعمل هذا إلاّ على حساب النمط المقابل ـ على حساب الرجل القوى المتيقّن من الحيـاة. وعندمـا يشـرق قطيع الحيـوانات بالأشـعـة البراقـة لأنقى فضـيلة فـإن الإنسـان الاسـتثنائى لابد وأن ينحط إلى مرتبة الشر. وعندمـا يصرّ الزيف بكل ثمن على الزعم بأنه ينشر «الحقيقة» باعتبارها وجهة نظر للعلم فإنّ الإنسان الصـادق حقـا يجب البحث عنه وسط من لهم أسوأ سمعة. وزرادشت هنا ليس له مثيل، فـهو يقول إن مـعرفـة الخير «والأفضل» هى بالضـبط التى تسبب رعبه من الناس. ومن هـذا الشعور بالاشمئزاز ينمّى أجنحة بهـا يطير فى آفاق المستقبل البعيدة. وهو لايخفى أن هذا النمط من البشـر، النمط الأعلى نسـبـيـا هو إنسـان أعلى بصـفـة خـاصـة عند مقارنته بالإنسان الطيب. وإن الإنسـان الطيب والعادل سيسمى كونه أعلى بأنه «شيطان»:

«أنتم أيهـا الأعلون الذين تسـقط عليكم نظرتى، وهذا هو الشك الذى تثيرونه فى الصـدر، وهذا هو ضـحكي السرى: أنتم قد تسمـون إنسـانى الأعلى الشـيطـان أنتم غـربـاء فى أنفـسكم إزاء كل مـا هو عظيم. وإن الإنسان الأعلى سيكون مرعبا فى أعينكم بسبب خيريته».

من هذه الفقرة وغيرها يجب أن ينطلق الإنسان لفهم الهدف الذى يريده زرادشت ـ نوع الإنسـان الذى يتصوره، وتصـور الحقيقة «كمـا هى»، وهو قوى بما فيه الكفاية من أجل الحقيقة ـ إنه ليس مغتربا وليس بعيدا عنهـا، إنه هو نفسه الحقيقة وفيه يمكن أن نجد كل الشك

والرعب فى الحقيقة: «بهذا وحده يمكن للإنسان أن ينال العظمة».

(٦)

غير أننى اخترت عنوان اللا أخلاقى كعلاقة مميزة بمعنى آخر: إننى فخور بأن أمتلك هذا الاسم الذى يرفعنى فوق كل البشر. فما من أحد حتى الآن قد شعر بأن الأخلاقيات المسيحية هى أدنى منه، ولكى يفعل هذا يجب أن تكون عنده ذروة، رؤية بعيدة، وعمق سيكولوجى بالهاوية، ولم يسمع بمثل هذا من قبل على الإطلاق. حتى الآن من داخل الأخلاق المسيحية كانت دائرة كل المفكرين - إنهم يقفون فى خدمتها.مَنْ قبلى قد هبط إلى الكهوف التى انبعثت منها الروائح السامة لما هو مثإلى - والذى هو فضيحة العالم؟ مَنْ قبلى قد جرؤ حتى على الشك فى أنها كهوف؟ مَنْ مِنْ الفلاسفة السابقين علىّ كان سيكولوجيا وليس عكسه أى «مخادعا أعلى»، «مثاليا»؟ قبلى لم توجد أية سيكولوجيا. وأن تكون الأول قد يكون لعنة، وعلى أية حال إنه قدر ومصير «فالأول يمكنه أيضا أن يحتقر». إن خطرى يشكل اشمئزاز البشرية.

(٧)

هل فهمتمونى؟ إنّ ما يحددنى، وما يضعنى بمعزل عن بقية البشرية هو أننى «نزعت قناع» الأخلاق المسيحية. ولهذا السبب أحتاج إلى كلمة تحتوى على فكرة تحدٍ كلى. إن كون عدم رؤية هذه الأشياء نظيفة يحط على ضميرها، إن خداع الذات قد أصبح غريزيا، فقد حدثت إرادة أساسية لإغلاق عينى الإنسان عن كل ظاهرة وعن كل علة وعن كل حقيقة، فى الحقيقة لقد كان خداعا

سيكولوجيا يرقى إلى مرتبة الجريمة. العماء فى وجه المسيحية هو الجريمة الجوهرية ـ إنه الجريمة «ضد» الحياة. العصور والناس، الأول والأخير على السواء، الفلاسفة والسيدات العجائز، فيما عدا خمس أو ست لحظات فى التاريخ «وبالنسبة لى أنا اللحظة السابقة» كلهم آثمون على السواء.

إن الأخلاق المسيحية هى أشد أشكال إرادة التزييف خبثا، السيرك الحقيقى للإنسانية والذى أفسدها. إنها ليست خطأ مماثلا للخطأ الذى يشعلنى هنا غَضَبًا، إنه ليس نقص «الإرادة الطيبة» عبر العصور ونقص النظام والوداعة والشجاعة الروحية والذى يفضح نفسه فى انتصار الأخلاقيات المسيحية، إنه غيبة الطبيعة، إنه الحقيقة الشحيحة الكاملة من أن ما هو غير طبيعى يحظى بأعلى تكريم للأخلاق ويظل محو ما فوق الإنسان أشبه بقانون الأمر الأخلاقى الذى طرحه الفيلسوف الألمانى إمانويل كانت. تصوروا أنكم تتخبطون بهذه الطريقة «ليس» كفرد، «ليس» كشعب، بل كبشرية! تعليم احتقار غرائز الحياة الأولية، وإقامة «نفس»، «روح» بشكل احتيالى يطرد الجسد، وتعليم الإنسان أن يجد عدم الصفاء فى متطلبات الحياة ـ فى الجنس، والبحث عن مبدأ الشر فى الاحتياج العميق من أجل التوسّع ـ أى فى محبة الذات القوية «والمصطلح نفسه يعد فضيحة»، وبالعكس هو رؤية قيمة خلقية أعلى ـ ولكن ماذا أنا قائله؟ أقصد «القيمة الخلقية ذاتها» فى العلاقات النمطية للتفسّخ، فى تطاحن الغرائز فى «اللا أنانية»، فى فقدان مركز الثقل فى «الموضوعية» وفى «محبّة الجار». ماذا! هل الإنسانية نفسها فى حالة تفسّخ؟ هل كانت كذلك دائما؟ إنّ هناك شيئا واحدا

مؤسسا هو أنكم لم تتعلموا إلا قيم التفسخ باعتبارها القيم العليا. إن أخلاقيات نكران الذات هى فى جوهرها أخلاقيات التفسّخ، إن حقيقة «إننى متجه إلى الكلاب» يجرى صياغتها على شكل أمر أخلاقى «إنكم سوف تتجهون إلى الكلاب» - وليس فقط إلى الآمر الأخلاقى. هذه الأخلاقيات الخاصة بنكران الذات، الأخلاق الوحيدة التى تم تعليمها حتى الآن تفضح الإرادة فى العدم - إنها نفى أساسى للحياة. ولاتزال هناك إمكانية أن البشرية ليست هى التى تتفسّخ وتنحط، بل ذلك النوع الطفيلى من الإنسان - الكاهن والذى عن طريق الأخلاقيات قد وضع نفسه فى موضع محدد القيم والذى شق فى الأخلاقيات المسيحية طريقه إلى القوة، قوة الحقيقة. هذا هو رأيى. إن معلمى وقادة البشرية - بما فى ذلك اللاهوتيون - كانوا جميعا المتفسّخين، ومن هنا جاء «تجاوز تقييم كل القيم» إلى معاداة الحياة، ومن هنا جاءت الأخلاقيات. هنا «تعريف للقيم»: الأخلاقيات هى مزاج المتفسّخين عن طريق رغبة فى الانتقام لأنفسهم بنجاح من الحياة. وأنا أعزو قيمة كبرى لهذا التعريف.

(٨)

هل فهمتمونى؟ إننى لم أنطلق بكلمة واحدة لم أقلها من قبل منذ خمس سنوات على لسان زرادشت. إن نزع قناع الأخلاقيات المسيحية هو حادث فريد، كارثة حقيقية. إنّ مَنْ يلقى الضوء عليها هو «قوة كبرى» قدر ومصير، إنه تقسيم تاريخ البشرية إلى قسمين. إن الإنسان إمّا أنه يعيش قبل زرادشت أو بعده. والحقيقة المضيئة كالبرق إنما تصعق ذلك الذى كان قد قام فى الذروة: وإنّ مَنْ يفهم ما كان قد دُمِّر حينئذ يجب أن ينظر ما إذا كان لايزال يمسك بشىء

فى يده. إنّ كل شيء كان يسمى حتى وقتئذ حقيقة يجرى الاعتراف بها الآن على أكبر شكل مضر ومحتقر وخفى وخاص بالزيف، إن التظاهر المقدس، «مسغبة» للإنسان يجرى إقرارها على أنها هدف لامتصاص الدم من الحياة. الأخلاقيات باعتبارها النزعة العفنة ومن ينزع قناع الأخلاقيات ينزع فى الوقت نفسه قناع عدم جدارة القيم التى يعتقد بها الناس أو قد آمنوا بها، إنه لايرى شيئا جديرا بالتقدير فى أشد الناس تبجيلا - حتى فى نمط الناس الدى أعلن أنه مقدس، إنه لايرى فيهم سوى أشد أنواع السقوط باعثا على المأساة المميتة، إنه مأساة مميتة «لأنّهم يفتتنون به». ولقد اخترع مفهوم «الرب» على أنه المفهوم المقابل للحياة - كل شيء ضار ومُسَمِّم وإن مفهوميْ «ماوراء» و«العالم الحقيقى» قد اخترعا حتى لا نترك أى هدف، أى دلالة، أى مهمة *لحقيقتنا الأرضية*. وان مفهومى «*النفس*» و«*الروح*» وقبلهما مفهوم «*النفس الخالدة*» قد اختُرعت *لتحقير الجسم* وجعله مريضا و«*مقدسا*» وبث طيش مخيف نحو كل الأشياء فى الحياة التى تستحق أن تعامل بجدية، مسائل التغذية، الإسكان، التغذية العقلية، العناية بالمرضى، النظافة، الطقس. وبدل الصحة نجد «فقر النفس» - وبقول آخر «حُمْق دائر» بين اضطرابات الندم وهستيريا التكفير. ومفهوم «الخطيئة» مع أداة التعذيب يلائم هذا، ومفهوم «الإرادة الحرّة» قد اخترع لكى نضلل غرائزنا ونجعل عدم الثقة فى *الغرائز* طبيعة ثانية للإنسان! وفى مفهومى «*اللا أنانية*» و«إنكار الذات» تنكشف الأعراض المرضية الحقيقية للتدهور والترويج لما هو ضار، وعدم القدرة على *اكتشاف احتياجات الإنسان الحقيقية* وأخيرا التدمير - التدمير الذاتى تتحول إلى قيم، تتحول كلها إلى

«واجب» و«قداسة» و«ألوهية» الإنسان. وأخيرا - وهو أشدّها باعثا على الرعب - فكرة الإنسان «الطيب الخير» تظهر لتُغنى كل شىء يكون مريضا وضعيفا وسيئا والذى يعانى من نفسه، كل شىء يجب مواجهته. إن قانون الانتخاب الطبيعى تجرى إعاقته، وهناك مقال يجرى طرحه فى تعارض مع الإنسان المحظوظ الذى كله كبرياء، فى تعارض مع الإنسان الإيجابى والذى هو متيقن من المستقبل، الإنسان الذى يضمن المستقبل - هذا الإنسان هو الذى يسمونه «شريرا» وكل هذا يجرى الاعتقاد به على أنه «أخلاقيات».

(٩)

هل فهمتمونى؟ "ديونيسيوس" ضد "المسيح"

محاولة للنقد الذاتى

(١٨٨٦)

مهما يكن الشىء الكامن فى أعماق هذا الكتاب الباعث على الشك فإنه يعد مسألة مهمة من الدرجة الأولى، زيادة على ذلك فإنها مسألة شخصية للغاية حتى الأعماق - وأرجو أن تلاحظوا الوقت الذى ظهر فيه وهو وقت الفترة المثيرة فى الحرب الفرنسية الألمانية ١٨٧٠ - ١٨٧١ بينما كانت معركة فورث تدوّى مرعدة على أوربا، فإن المفكر ومُحبّ الألغاز الذى سيكون أب هذا الكتاب جلس فى موضع ما فى زاوية على جبال الألب وهو غارق فى الألغاز والتأملات، وبالتالى كان هناك ما يهم وفى الوقت نفسه غير مهم، ولقد كتب تأملاته عن «اليونانيين» وهو لب الكتاب الغريب والصعب الذى يخصص له هذا الاستهلال «أو الخاتمة». لقد مرت عدة أسابيع وقد وجد أن عقله لم يتحرر بعد من المشكلات المتعلقة «بالاحتفاء» المزعوم باليونانيين والفن اليونانى، إلى أن حدث أخيرا فى ذلك الشهر من التوقف العظيم عندما كانت تجرى المفاوضات شأن السلام فى فرساى أنه هو أيضا أحرز سلاما مع نفسه، وببطء يتماثل للشفاء من مرض حمله من الحقول، ففكر بشكل نهائى ومحدد فيما يتعلق «بميلاد التراجيديا من روح الموسيقى». الموسيقى؟ الموسيقى - والتراجيديا؟ اليونان - والموسيقى التراجيدية؟ اليونان والمنتجات الفنية للتشاؤم؟ جنس من الناس حسنوا الروْنق رائعون يستلهمون

الحياة على نحو لم يتحقق لجنس آخر - اليونان - حقا؟ هل اليونانيون «محتاجون» للتراجيديا؟ - محتاجون - للفن؟ لأى شىء - الفن اليونانى؟

نستطيع هكذا أن نختم المسألة الكبرى التى بعثت على الاهتمام بقيمة الوجود. هل التشاؤم هو علاقة على الانهيار والتفسّخ والفشل والغرائز المنهكة والضعيفة؟ - كما هو الشأن مع الهنود، كما هو الحال معا نحن الرجال والأوربيين «المحدثين» على نحو ما هو ظاهر؟ هل هناك تشاؤم فى القوة؟ هل هناك ولع عقلانى بما هو صعب ومخيف وشرير. ونحن نرى غازى الوجود يكون نتيجة الرفاهية والثروة المفرطة و«امتلاء» الوجود؟ هل يحتمل أن تكون هناك معاناة متضمنة فى ذلك الإفراط فى الامتلاء؟ أليس الأمر محتاجا إلى شجاعة ذات عين فاحصة مُغْوية «تحذّر» من المُرْعب تحذيرها من العدو، العدو الحق، الذى قد يقيس به قوتها والذى منه قد تتعلم ما هو «الخوف»؟ ماذا تعنى الأسطورة «المأساوية» بالنسبة لليونانيين فى الحقبة الممتازة والقوية والشجاعة؟ ماذا تعنى الظاهرة غير العادية المدهشة لديونيسيوس؟ ماذا يعنى ماوُلد من ديونيسيوس ألا وهو التراجيديا؟ مرة أخرى، ماذا يعنى ذلك الذى منه تموت التراجيديا، سقراطية الأخلاقيات، الاحتفاء والإعلاء الجدلى للرجل النظرى؟ ألا يمكن أن تكون هذه السقراطية نفسها علامة على الانهيار والتعب والمرض والغرائز المنحلة الفوضوية؟ و«الاحتفاء اليونانى» بالهللينية المتأخرة ألا يمكن أن يكون هذا مجرد غروب متوهج؟ هل الإرادة الأبيقورية «المواجهة» للتشاؤم مجرد تحذير لمن يعانى؟ والعلم ذاته - علمنا - الذى يعد علامة على الحياة، ماذا يعنى

كل هذا العلم حقا؟ إلى أين - والأسوأ «متى» - كل هذا العلم؟ حسنا؟ ألا يمكن أن يكون الإفراط فى العلم مجرد خوف من غزو التشاؤم؟ هل هو دفاع دقيق ضد الحقيقة؟ وإذا تكلمت بلغة الأخلاق هل هو شيء يشبه الزيف والجبن؟ وإذا تحدثنا بلغة غير أخلاقية هل هو فن مصطنع؟ أواه ياسقراط، ياسقراط، هل يحتمل أن يكون هذا هو سرّك؟ أيها المتهكم الغامض هل يحتمل أن يكون هذا - تهكمك أنت؟

(٢)

إنّ ما بدأت أتناوله حينئذ هو شيء مرعب وخطر، مشكلة ذات قرون، هى ليست بالضرورة ثورا، ولكنها على أية حال مشكلة «جديدة» واليوم يجب أن أقول إنها كانت «مشكلة العلم» ذاته - لقد كان العلم يبدو لأول مرة على أنه إشكالى ومثير للإشكالية. غير أن الكتاب - نتاج حماستى وشكوكى فى الشباب - إن ما يحتاج إليه الكتاب «المستحيل» هو تبين مهمة ملائمة لشباب. لقد بُنى على تجارب شخصية غير ناضجة مفككة وكلها تجارب قريبة من مشارف ما هو متواصل وقد نُظر إليه من منظور «الفن» - لأن مشكلة العلم لايمكن ألا نهتم بها على عمل العلم، إنه كتاب ربما للفنانين «أى النوع الاستثنائى من الفنانين الذين يجب أن يبحث عنهم المرء ولا يعبأ حتى بأن يبحث عنهم...» مع وجود اتجاهات تحليلية واسترجاعية تصاحب أمثال هؤلاء الفنانين، ملىء بالاصطلاحات السيكولوجية وأسرار الفنانين مع وجود ميتافيزيقا للفنان فى الخلفية، إنه عمل من أعمال الشباب ملىء بروح الشباب وكآبة الشباب وهو مستقل وهو كاف بذاته قطعا حتى عندما يلوح أنه ينحنى لسلطة ما وتبجيل ذاتى ما،

بالاختصار إنه عمل أول بكل ما في الكلمة من سوء، وبالرغم من مشكلته القديمة فإنه ملىء بكل أخطاء الشباب، ملىء فوق كل شىء بإطناب الشباب وجماعة «العاصفة والاجتياح» الأدبية لدى الشباب. من جهة أخرى فى ضوء النجاح الذى تم «وخاصة بالنسبة للفنان العظيم الذى تتوجه إليه على شكل حوار وهو ريتشارد فاخبر» كان كتابا «شيطانيا» أعنى كتابا هو بكل المعايير كافيا «لخير ما فى زمنه» وعلى هذا يجب تناوله بشىء من الاعتبار والتحفظ، ولكننى مع هذا لن أخفى تماما مقدار المشاعر غير الطيبة التى أيقظها فى فبعد ستة عشر عاما يقف غريبا تماما بالنسبة لى ـ أمام عين أكثر نضجا وأكثر ثباتا بمئات المرات، ولكنها لم تَنْمُ على الإطلاق لتكون أكثر برودة، إنه حين لم تفقد آياً من اهتمامها بتلك المشكلة ذاتها التى هاجمها لأول مرة هذا الكتاب الجرىء ـ إنه ينظر للعلم من خلال عينى الفنان وأن ينظر للفن من خلال عيون الحياة.

(٣)

دعونى أكرر إن الكتاب يبدو لى اليوم مستحيلا. بالنسبة لى إننى أعتبره قد كُتب بشكل سىء فهو مُثقل ومؤلم وملىء بالجرى وراء الصور وجيشان العاطفة، معسول أحيانا حتى درجة التخنث، غير مستقيم فى إيقاعه، خال من إرادة الوضوح المنطقى ملىء بالتظاهر وهو لا يثير الثقة حتى بخاصية التظاهر، يظهر نفسه ككتاب للمبتدئين، يظهر نفسه «كموسيقى» لأولئك المُعَمَّدين باسم الموسيقى، يظهر نفسه ككتاب بالنسبة للمتحدين منذ بداية الأشياء بتجارب شائعة ونادرة فى الفن، كعلامة مضادة لعلاقات الدم فى الفن ـ إنه كتاب متغطرس وخيالى.

وهو من أول صفحة ينسحب من الدنيوية السوقية للمثقفين لأمن «الناس» ولكن كما أظهر تأثيره ولا يزال يظهر يعرف تماما كيف يُفْحم الرفاق المتحمسين ويقودهم إلى دروب فرعية جديدة وأمراض تميد رقصا. هنا على أية حال تم الاعتراف بهذا بفضول وعلى نحو متوسط - هنا يتكلم صوت «غريب»، تلميذ «إنه مجهول» لايزال، هو فى الوقت الراهن قد تخفّى وراء أغطية الدارس الباحث، وراء ثقل الألمانى وعدم راحته فى مواجهة الديالكتيك حتى فى ظل العادات السيئة الفاجنرية، هناك كانت روح ذات احتياجات غريبة لاتزال مما لا يمكن تسميتها، ذكرى تموج بالمشكلات والتجارب وأشكال الغموض، بجانبها يقف اسم ديونيسيوس مثل علامة استفهام أخرى، هنا تحدث - هكذا قال الناس لأنفسهم - بشك على نحو قريب من الصوفى والنفس الممتلئة هوساً والتى لم تقرر ما إذا كان يجب عليها أن تكشف نفسها أو تخفيها، إنه يتمتم دون سيطرة وتحكم وبصعوبة كما لو كان يتمتم بلسان أعجمى غريب. لابد أنّها غنّت تلك النفس الجديدة - ولا لم تتكلم! يالها من شفقة فلم أجرؤ أن أنطق بأفكارى كشاعر! ربما كنت فعلت هذا، أو على الأقل كعالم لغوى: فحتى اليوم يكاد يكون كل شىء فى هذا المجال محتاجا إلى اكتشافه وكشف الغطاء عنه على يد فقيه اللغة! وفوق كل شىء كانت هناك المشكلة، هنا «كانت» مشكلة أمامنا - وهى مشكلة لم يكن لدينا جواب عنها وهى «مَنْ هو الديونيسى؟» واليونانيون يجب أن يظلوا الآن كما كانوا غير معروفين، وغير معقولين.

(٤)

نعم، مَنْ الديونيسى؟ فى هذا الكتاب نجد إجابة: فهنا يتكلم

«إنسان عارف»، إنه المريد لإلهه وتلميذه. وربما عليّ اليوم أن أتحدث بطريقة أكثر حذرا وأقل فصاحة عن سؤال سيكولوجي صعب مثل ذلك السؤال عن أصل التراجيديا.

السؤال الأساسي هو علاقة اليوناني بالألم ودرجة حساسيته - هل تظل دائمة؟ أم أنها تختلف؟ - هل «شوقه المتزايد دائما للجمال» والاحتفالات والطقوس الجديدة تنمو حقا من الحاجة والمسغبة والكآبة والألم؟ فحتى لو كان هذا حقيقيا - وبركليز «أو ثيوكيديس» يحاكي الكثيرين في مظاهر تشييع الجنازة - فكيف ستحسب الحنين المقابل الذي يسبق هذا «الحنين للقبح»، شجاعة هيلين، إرادة صارمة للتشاؤم، أسطورة تراجيدية، تصور لكل ماهو مرعب وشرير وغامض ومدمر ومميت في أساس الوجود؟ متى إذن يجب أن تكون التراجيديا قد ظهرت؟ ربما من «المرح»، من القوة، من الصحة الوفيرة، من الإفراط في الامتلاء. وماذا إذن - إذا تحدثنا فسيولوجيا - دلالة ذلك الجنون، الجنون الديونيسي الذي ظهر منه الفن الكوميدي وكذلك الفن المأساوي؟ ماذا؟ هل ممكن أن ذلك الجنون ليس بالضرورة علامة على الانحطاط والانحدار والثقافة المتفسخة؟ ربما يكون هذا سؤالا للمغتربين - هل هناك عصيان «للصحة»، هل هناك عصاب لأسطورة الشباب وأسطورة الشبابية؟ ماذا يعني ذلك المركب من الإله والماعز في الساتير إله الغابات الذي له ذيل وأذن فرس والمولع بالعربدة؟ ماهي التجربة الشخصية، ماهو القشْر الذي جعل اليونانيين يتصورون المعربد الديونيسي والإنسان البدائي كساتير؟ وبالنسبة لأصل الكورس أو الجوقة التراجيدي: هل كانت هناك حالات وجد قرصَنية مستوطنة في تلك الفترات عندما ازدهر الكيان

اليوناني والروح اليونانية فاضت بالحياة؟ هل هي الرؤى، ربما، والهلوسات التي استحوذت على التجمعات الخاصة بالطقوس؟ ماذا لو كان لدى اليونانيين الثراء الشديد لشبابهم إرادة «أن يكونوا» مأساويين وكانوا متشائمين؟ ماذا لو كان الجنون نفسه ـ إذا استخدمنا كلمة من أفلاطون ـ هو الذي أضفى أعظم العبارات على اليونان؟ وماذا من جهة أخرى وبالعكس إذا كان في اللحظة نفسها لتحلل اليونانيين وضعفهم قد أصبحوا أكثر تفاؤلا وأكثر تفوقا وأكثر تمسّكا بالمنطق وإضفاء للطابع المنطقي على العالم ـ وبالتالي أكثر «احتفاء» وأكثر «علمانية»؟ نعم، بالرغم من كل «الأفكار الحديثة» والابتسارات الديمقراطية، ألا يمكن لانتصار «التفاؤل» وهيمنة «الحس المشترك» و«النفعية العامة» العلمية والعملية «مثل الديمقراطية نفسها التي بها تكون متزامنة» ـ ألا يمكن لكل هذا أن يكون أعراضا للقوة المنهارة والعمر الذي يشيخ والتعب الجسماني؟ «ألا» يمكن بأي معنى أن يكون تشاؤمنا؟ هل كان أبيقور متفائلا ـ بسبب «المعاناة»؟. نستطيع الآن أن نرى عبء ثقل التساؤلات التي وضعها هذا الكتاب على عاتقه ـ ولاتدعونا نخطيء في أن نضيف ثقل أعظم كل التساؤلات كلها! من منظور «الحياة» ماهو معنى ـ الأخلاقيات؟

(٥)

حتى في التصدير لريتشارد فاجنر فإن الفن ـ و«ليس» الأخلاقيات ـ هو الذي يُطرح على أنه النشاط «الميتافيزيقي» الحق للإنسان. في الكتاب نفسه تتردد كثيرا القضية المثيرة الحادة القائلة ان وجود العالم لا «يتم تبريره» إلا كظاهرة جمالية. وفي الحقيقة إن

الكتاب بأكمله لايقرر إلاّ الفكر ـ الفنان وما وراء فكر الفنان وما وراء كل الأحداث ـ «يوجد «إله» إذا أحْبَبْتُم لكنه إله ـ فنان وهو إله يريد فى الخير كما فى الشر أن يصبح واعيا بفرحه وسيطرته المتماثلين، والذى فى خلق العوالم يحرر نفسه من «الكرب» الخاص بالامتلاء «والإفراط فى الامتلاء»، من «المعاناة» من التناقضات المتمركزة داخله. إن العالم يجرى تصوره على أنه تحرر مستمر من الرب، على أنه التغير الدائم والرؤية المتجددة دوما لأشد معاناة، وأشد وجود متناقض وممزق ولايستطيع أن يحرر نفسه إلا فى «المظهر». قد تسمون هذا ابتسارا، تسللا، شطْحاً خياليا، إذا أردتم ـ لكن النقطة الهامة هى أن هذه الميتافيزيقا ـ الفنان تكشف عن وجود روح صممت ذات يوم كيفما اتفق على أن تقف فى وجه التأويل «الخلقى» ومعنى الحياة. وربما هنا لأول مرة يوجد تشاؤم. وكتاب «بمعزل عن الخير والشر» يعلن عن نفسه، هنا الشكل والتعبير يستسلمان «لانحراف المزاج» والذى ضده لم يهدأ شوبنهور إطلاقا فى صب صواعقه عليه ـ وهنا فلسفة ـ مع وجود قصد ازدرائى، تجرؤ على طرح الأخلاقيات نفسها فى عالم الظواهر وليس فقط بين عالم الظواهر «بالمعنى المثالى للمصطلح» بل بين «الأوهام» كمظهر وتظاهر وخطأ وتأويل وعقلانية وفن. ربما عمق هذه النزعة «المضادة للأخلاقيات» يمكن تقديرها على أحسن وضع من الصمت الحذر والمعادى الذى عولجت به المسيحية فى الكتاب ـ المسيحية وقد عولجت على أنها سخرية مبالغة للموضوع الخلقى الذى اضطرت البشرية أن تنصت له. فى الحقيقة، لا يوجد موضوع متناقض أعظم ضد التأويل الجمالى للعالم وتبريره هكذا فى الكتاب عن العقيدة المسيحية التى

هى أخلاقية «فحسب» والتى لاتريد سوى أن تكون أخلاقية فحسب وهى بكل معاييرها المطلقة «مثلا صدق الإله» ترد الفن بل كل فن إلى عالم «الزيف» ـ وهى بهذا تندد وتدين وتلقن ـ وراء مثل هذا النمط من التفكير والتقييم لو كان أصلا أصيلا والذى يجب أن يكون معاديا للفن أشعر دائما بشىء «معاد للحياة» ففى إرادة الحياة نفى كله حنق وقطعية. فالحياة كلها تقوم على المظهر والفن والوهم والرؤية الإنسانية وضرورة المنظور والخطأ. إن المسيحية كانت أساسا وطوال أمرها الغثيان والاشمئزاز من الحياة وتتقنّع وتختفى وراء الاعتقاد بوجود حياة «أخرى و«أفضل». إن كراهية «العالم» وإدانة العواطف، والخوف من الجمال والحساسية مما هو وراء، اخترعت كلها للتنديد بهذا العالم، وهنا يكمن حنين العدم، للنهاية، للراحة، «الراحة الأسبوعية» ـ كل هذا بالإصرار اللا مشروط للمسيحية على الاعتراف بالقيم الخلقية «وحدها» قد بدا لى على أنه أخطر أشكال «إرادة الفناء»؛ بدا لى على الأقل على أنه عَرَض لأشد الأمراض المميتة وأشد أشكال القلق، الإصابة بالسكتة القلبية، والإنهاك، والأنيميا، فإذا حكمنا عن طريق الأخلاقيات «خاصة المسيحية، أى الأخلاقيات المطلقة» فإن الحياة «يجب» أن تكون هى الخاسرة دائما. وبشكل محتم، لأن الحياة هى شىء غير أخلاقى ـ فى الحقيقة مثقلة ثقل الاحتكار و«السلب» الدائم، إن الحياة «يجب أن نستشعرها فى النهاية على أنها غير جديرة. ثانية رغبة كما لو كانت هى فى ذاتها شيئا عديم القيمة. الأخلاقيات نفسها؟ ـ ماذا؟ ـ أليست الأخلاقيات هى «إرادة لنفى الحياة»، أليست غريزة سرية للإفناء والتعديم، أليست هى مبدأ التآكل والانحطاط والتدهور، أليست هى بداية

النهـايـة، وبالتـالى أليـست هـى خطر الأخطار؟... إذن «ضـد» الأخلاقيات تحولت غريزتى وهى غريزة للدفاع عن الحياة وقد تحولت فى هذا الكتاب المثير إلى أن تكون فنية بشكل خالص و«مضادة للمسيحية» وهى تخترع لنفسها عقيدة مضادة أساسية وتقييما مضادا للحياة. ماذا يجب أن أسمى هذا؟ إننى كفقيه فى اللغة أديب وسيد الكلمات أُعَمِّد هذا - ولا يخلو الأمر من بعض الوقاحة - فمن يمكن أن يتأكد من الاسم الملائم للمسيخ الدجال؟ - وأنا أعمّد هذا باسم إله يونانى أسميه «الديونيسى».

(٦)

هل تستطيعون أن تتبينوا المشكلة التى جرؤت على أن أقترحها فى هذا الكتاب المبكّر؟ وكيف لى الآن أن اعتذر عن هذا فى زمن ليست لدى فيه الشجاعة «من باب عدم التواضع» أن أسمح لنفسى بلغة «مفردة» لمثل هذه التأملات والمحاولات الفردية - التى سعيت إلى التعبير عنها ما وسعنى بمصطلحات كانت وشوبنهور بقيم غريبة وجديدة ومعادية أساسا لروح وذوق كانت وشوبنهور أيضا! فعلى سبيل المثال ماهى آراء شوبنهور فى التراجيديا؟ يقول فى كتابه «العالم كإرادة وامتثال» «إن ما يعطى كل تراجيديا ميلا مفردا نحو الارتفاع والسمو هو إيقاظ المعرفة بأن العالم والحياة لايمكن أن يشبعانا تماما، ومن ثمّ فهما غير جديرين بارتباطنا بهما، فى هذا تقوم الروح التراجيدية: ومن ثمّ فإنّها تُفضى إلى الاعتزال». أواه، كم يبدو صوت ديونيسيوس مختلفا! كم يبدو لى غريبا هذا الاعتزال نفسه! غير أن هناك شيئا أسوأ فى هذا الكتاب وهو ما آسف له الآن على نحو أكثر مما أعتذر

عن كونى خلطت وأفسدت التوقعات الديونيسية بصياغات شوبنهور. بصفة عامة لقد «أفسدت المشكلة الهلينية» الكبرى كما أراها بخليط من الأفكار الحديثة! لقد أضمرت الآمال عندما لم يكن هناك أى أمل وعندما كان كل شىء يشير بوضوح إلى نهاية على وشك الوقوع! وعلى أساس موسيقانا الألمانية فى أيامنا المتأخرة بدأت أكتب القصص عن «الروح التيوتونية» الألمانية كما لو كنت على وشك أن أكتشف شيئا وأرجع إلى الذات - ولقد فعلت هذا عندما كانت الروح الألمانية التى لم تكن من قبل قد طلت وعندما تتقدم الإرادة وتسيطر على أوربا و«استقلت» فى النهاية وتحت التظاهر المدوى لتأسيس امبراطورية - مما أدى إلى تحويلها إلى نزعة متوسطة وديمقراطية وإلى «أفكار حديثة»: وفى الحقيقة لقد تعلّمت منذ ذلك الوقت أن أعتبر هذه «الروح التيوتونية» دون أمل أو شفقة على نحو ما أعتبر «موسيقانا الألمانية» المعاصرة رومانسية من خلال عدم يونانيتها من بين كل أشكال الفن، وزيادة على ذلك مدمرة للأعصاب من الطراز الأول وخطرة بالنسبة لأناس يحبون الشرب ويبجلون الغموض كفضيلة - خطرة فى قدرتها المزدوجة على التحرير المدوخ والباعث على الغباء. وبطبيعة الحال بمعزل عن كل الآمال المطوّحة والتطبيقات الخاطئة بالنسبة لمسائل جريئة بشكل خاص والتى جسّدتها آنذاك فى كتابى الأول وهى المشكلة الديونيسية العظيمة التى افترضتها هناك وهى تلحّ مع الإشارة إلى الموسيقى. كيف يمكن أن نتصوّر موسيقى لم تعد - شأنها شأن الألمان - من أصل رومانسى بل من أصل «ديونيسى».

(٧)

. ولكن ياسيدى العزيز، إذا كان كتابك «أنت» ليس كتابا رومانسيا فبحق السماء ماهو؟ هل يمكن لكراهية عميقة للحاضر و«للواقع» و«الأفكار الحديثة» تتأكد أكثر مما كانت فى ميتافيزيقاك الخاصة بالفنان؟ ـ والتى تؤمن بالأحرى بالعدم أو الشيطان أكثر مما تتأكد من «الآن»؟ أليس هناك هدير جهير من الغضب والفرح المدمّر وراء كل فنِّك الصوتى ذى الطبقات الموسيقية وانتهاكك السمعى؟ ألا يحتوى الكتاب على تصميم جنونى لمعارضة كل ماهو «الآن»، إرادة لاتبعد كثيرا عن العدمية العملية التى يبدو أنها تقول: «لاتدع شيئا يكون حقيقيا أسرع من أن يكون لك «أنت» حق تسود حقيقتك أنت»! أنصت إلى نفسك ياسيدى العزيز المتشائم ويا أيها المتحدّى الفنان، أنصت بعيون مفتوحة إلى فقرة وحيدة مفردة فى كتابك وهى ليست فقرة تنقصها الفصاحة والتى يمكنها أن تذبح تنّينا والتى يمكن أن يكون لها استجابة مُغوية لآذانكم وقلوبكم، ماهى؟ أليست الرومانسية فى ١٨٣٠ والممتازة تتقنّع كتشاؤم ١٨٥٠؟ وبعدها بطبيعة الحال النهاية الرومانسية المعتادة تضرب فى النور تتوقّف، تنهار، تُعَدِّد وتَتَعَهَّر أمام اعتقاد قديم، أمام «الرب». ماذا؟ أليس كتابك المتشائم نفسه قطعة معادية للهللينية، أليس مثالا للرومانسية، شيئا صاخبا وباعثا على الغباء، على السواء؟ إنه مخدّر، قطعة من الموسيقى، قطعة من الموسيقى «الألمانية». انتبهوا لهذه الفقرة.

«دعونا نتخيّل جيلا ناهضا بهذه الرؤية الجريئة، هذه الرغبة البطولية العظمة، دعونا نتخيّل الخطوة الضخمة لهؤلاء الذابحين للتنين، الجرأة المتكبّرة التى يديرون بها ظهورهم لكل العقائد البالية

للتفائل حتى «يعيشوا بتصميم» على نحو كامل وتام.

«ألن يكون ضروريا» للإنسان التراجيدى لهذه الثقافة بما لديه من اتّبـاع ذاتى للجـدية والرعب أن يرغب فى فن جـديد، فى «الراحـة الميتافيزيقية» ألا وهى التراجيديا ـ ليعلنها هلينية ويصيح مع فاوست بطل الشاعر الألمانى جيته:

«ألا يمكننى بالرغبـة العظيمـة فى الحـياة أن أصـوغ ذلك الشكل الرائع الوحيد لكى أناله؟

«ألن يكون «ضروريا»؟... كلا، كلا، كلا، كلا! »

أيهـا الرومـانسـيون الشـباب: «لن» يكون ضـروريا! ولكن يُحتـمل تمامـا أن «تنتهى» الأشـيـاء وأن تنتـهوا «أنتم» وقـد «ارتحتم» ـ إذا مـا اسـتـخـدمـتم مـصـطلحـى ـ بالرغم من كل من الاتّبـاع الذاتى للجدّية والرعب. ترتاحون ميتافيزيقيا بالاحتقار، تنتهون أيهـا الرومـانسـيون «وأنتم مـسـيحـيـون». لا! يجب أن تتعلمـوا أولا فن الراحـة الأرضـيـة، يجب أن تـتـعلمـوا كـيف تضـحـكون يا أصـدقـائى إذا أردتم أن تظلوا متشـائمين: إذا حـدث هذا ربما وأنتم الضـاحكون تبعـثون كل راحـة ميـتافيزيقية إلى الشيطان ـ والميتافيزيقا قبل كل شىء! وبلغة ذلك الصوت الديونيسى زرادشت:

«ارفعوا قلوبكم يا إخوتى عـاليا، إلى الأعلى؟ ولا تنسـوا أرجلكم ارفعوا أيضـا أرجلكم أيهـا الراقصـون المـتـازون والأفضل أن تظلوا واقفين على رؤوسكم!

«إن هذا التـاج من الضـحك، هذا التـاج المُكَلّل بالورد: أنا نفـسى قد لبست هذا التـاج، أنا نفسى قد قدّست ضـحكى. وأنا لا أجد أحدا اليوم قادرا على هذا بما فيه الكفاية.

«زرادشت الراقص، زرادشت الخفيف، المتوحد مع جناحه الطائر، المستعد للتحليق، المتوحد مع كل الطيور، المستعد والمتهيىء، الإنسان الروحى الخفيف الطائر المبارك:

«زرادشت المتنبىء، زرادشت الضاحك بنعومة، الإنسان غير الصبور، وليس الإنسان المطلق، الإنسان الذى يحب القفز والوثبات الجانبية: أنا نفسى قد لبست هذا التاج!

«هذا التاج من الضحك، هذا التاج المُكَلَّل بالورود: إليكم يا إخوتى هل أقذف هذا التاج! الضحك هو ما أتناغم معه، وأنتم أيها الناس الأعلون «تعلّموا»، إننى أتضرّع إليكم، أن تضحكوا!».

محتوى الكتاب

إشـارات

المؤلف: فريدريك نيتشه

ولد ١٨٤٤ وتوفى ١٩٠٠. فيلسوف ألمانى ولد فى مدينة روكن بإقليم ساكسونى. سماه والده باسم فريدريك فلهلم باسم ملك بروسيا فريدريك الأكبر. جاءت تربيته ليكون رجل دين لأنه ينحدر من أسرة اشتغل عدد كبير فيها كرجال دين وهم من أتباع مارتن لوثر. تلقى تعليما من التراث الكلاسيكى . أسس مع صديقين له جمعية «النزعة الألمانية» لدراسة الفنون. تخرج عام ١٨٦٤ من جامعة بون وهو متخصص فى فقه اللغة. كون صداقة عميقة مع الموسيقار ريتشارد فاجنر ثم انقطعت هذه الصداقة. تدهورت صحته فى أواخر سنوات عمره وأصيب بنوع من الجنون. ينتمى بشكل ما إلى الفلسفة الوجودية التى تستهدف هدم القيم البالية وتأسيس القيم الجديدة على أساس الحرية والمسئولية. وقد وصف نفسه بأنه فيلسوف الحياة. من مؤلفاته : «مولد التراجيديا من روح الموسيقى» (١٨٧٢)، «العلم المرح» (١٨٨٢)، «هكذا تكلم زرادشت» (١٨٨٤) . «بمعزل عن الخير والشر» (١٨٨٦)، «شجرة أنساب الأخلاق» (١٨٨٧) ونُشر كتابه الشهير «إرادة القوة» بعد وفاته.

المترجم: مجاهد عبد المنعم مجاهد

من مواليد القاهرة ١٩٣٤. ليسانس آداب قسم الفلسفة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٥٦. مستشار صحفى بوكالة أنباء الشرق الأوسط. أستاذ زائر للفلسفة وعلم الجمال بجامعات عين شمس والمنيا والزقازيق وكلية بنات جامعة عين شمس. من مؤلفاته الفلسفية: *الفلسفة والحنين، الإنسان والاغتراب، من القلق حتى الأمل، الاغتراب فى الفلسفة المعاصرة، هيدجر راعى الوجود.* من مؤلفاته الشعرية : أغنيات مصرية، هكذا تكلمت العيون، وثالثهما العشق، الحب على جناح قوس قزح. من مؤلفاته الجمالية والنقدية: جدل الجمال والاغتراب، فلسفة الفن الجميل، دراسات فى علم الجمال، المتنبى والاغتراب، جدل النقد وعلم الجمال، جماليات الشعر العربى المعاصر. من ترجماته : فن الحب (إريك فروم)، فلسفة النفى (هربرت ماركيوز)، الواقعية فى الفن (سدنى فنكلشتين) ، الخوف من الحرية (إريك فروم)، تمت اللعبة (جان بول سارتر)، أسطورة سيزيف (البير كامى).

الفنان : فتحى عفيفى

فنان مصرى معاصر. مواليد ١٩٥٠ يعمل بالمصانع الحربية. حصل على منحة تفرغ من وزارة الثقافة عدة سنوات. أقام عدة معارض فردية وجماعية: (الفردية) بالنمسا ٨٤، وبالقاهرة ٨٦، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ٩٤، وبالإسكندرية ٩٦. (الجماعية) بالمكسيك ٩٦، كوبا ١٩٩٧، وله مقتنيات لدى متحف الفن الحديث بالقاهرة وجهات أخرى. يعتبر من فنانى الثمانينيات في مصر، ويتميز عمله برؤية تعنيها التحام الفنان بالمجتمع مع التماس رموز أسطورية جديدة من واقع الحياة اليومية للعمال خصيصا.

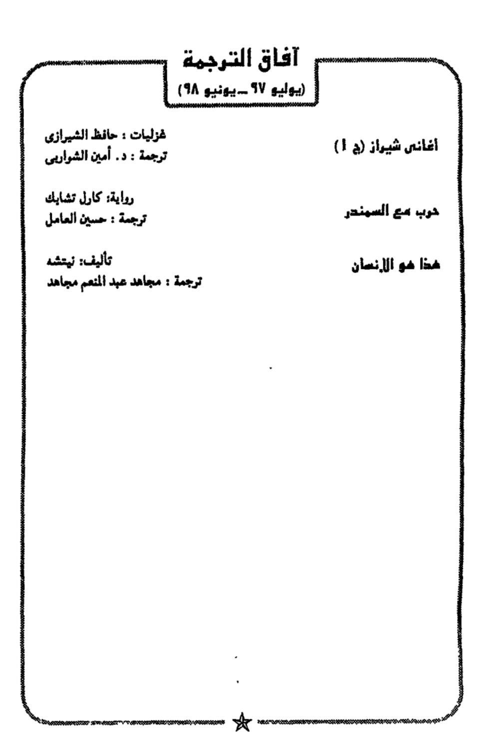
آفاق الترجمة

(يوليو ٩٥ – يونيو ٩٦)

النظرية الأدبية المعاصرة	تأليف : رامان سلدن ترجمة : د. جابر عصفور
مدن الآخرين	أشعار ترجمة : أحمد ع. حجازى
صحراء التتار	رواية : دينو بوتزاتى ترجمة : موسى بدوى
الحب	رواية : مارجريت دورا ترجمة : د. فوزية العشماوى
أساطير	تأليف : رولان بارت ترجمة : سيد عبد الخالق
نشيد بحرى	شعر : فرناندو بيسوا ترجمة : المهدى أخريف
هبة الطوطم	أساطير الهنود الحمر ترجمة : راوية صادق
أزهار الشر	شعر : شارل بودلير ترجمة : محمد أمين حسونة
مرآة الحبر	نصوص : بورخيس ترجمة : محمد عيد إبراهيم
النظرية الأدبية المعاصرة (ط ٢)	تأليف : رامان سلدن ترجمة : د. جابر عصفور
الشعر والتجربة	تأليف : أرشيبالد مكليش ترجمة : سلمى الخضراء الجيوسى
رامبو وزمن القتلة	تأليف : هنرى ميللر ترجمة : سعدى يوسف
مداخل الشعر	تأليف : باختين . لوتمان . كوندراتوف ترجمة : أمينة رشيد . سيد البحراوى
باختين : المبدأ الحوارى	تأليف : تودوروف ترجمة : فخرى صالح

آفاق الترجمة

(يوليو ٩٦ ـ يونيو ٩٧)



آفاق الترجمة

(يوليو ٩٧ ـ يونيو ٩٨)

أغانى شيراز (ج ١)	غزليات : حافظ الشيرازى ترجمة : د. أمين الشواربى
حرب مع السمندر	رواية: كارل تشابك ترجمة : حسين العامل
هذا هو الإنسان	تأليف: نيتشه ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد

رقم الإيداع ٩٨/٣٧٥٢
طبع بالمركز المصرى العربى

هذا هو الإنسان

(لستُ صاحب أحلام يقظة، وإنني لاستطيع أن أجد فرحا في سحب السقف، كما أن لي قبضة قوية. فإن فردوسي قائم في ظل سيفي!)

إن **نيتشه** محارب، ولهذا فإنه حين يتفلسف فهو يحمل مطرقة لهدم القديم، وتشييد الجديد، داعيا إلي زرادشت ينبثق النور بين يديه. كما يدعو إلي ديونيسيوس آخر يغوص أكثر في العمق ليقهر الظلام. وقد أدرك نيتشه أن الثقافة والعلم الحديثين يكتفيان بإنتاج الهمجية، ولهذا فقد كان نذيرا لنزعة العدمية والتهديم التي شهدها القرن العشرون من بعده

(إنكم تبجلونني، لكن ماذا لو انهار ذات يوم تبجيلكم؟ إنني أهيب بكم أن تفقدوني، حتى تجدوا أنفسكم، وحين تنكرونني جميعا - أعود إليكم!)

هذا هو الإنسان، كتبه نيتشه بعد أن اضطرب عقليا، ونُشر بعد وفاته. والكتاب ملئ بالتهكم والسخرية، وغير قليل من لحظات الجنون، وبومضات أشبه بالصاعقة. يحكي فيه تاريخه وتكوينه ونظرات في مؤلفاته هو - شخصيا - وعلاقاته بالمثقفين في عصره.

(آخر ما يمكن أن أعد به هو أن أحسّن البشرية. إني لا أقيم أوثانا جديدة، بل لا أريد سوى أن تتعلم الأوثان القديمة ماذا يعني أن تكون أقدامها من صلصال).

إنه زرادشت جديد، يتضرع إليكم أن تضحكوا! ★



Nietzsche
Ecce Homo